

عربية حيث تكلمت بها العرب وحولتها عن اصلها واخضعتها لنفوذ حكمها الا ترى انها لا تدمه على لفظه الذي كان عليه عند المعجم الا اذا كانت حروفه في المخارج والصفات كحروف العرب .

وذلك مثل تنور وصابون فانه اتفقت فيهما اللغة العربية واللغة العجمية وعند ذلك يكون منسوبا الى العرب لا الى المعجم اما اذا لم تكن حروفه كحروف العرب او كان بعضها كذلك دون بعض فلا بد لها ان ترددا الى حروفها ولا تقبلها على مطابقة حروف المعجم - ومن اوزان الكلم ما تتركه على حاله في كلام المعجم ، ومنها ما تتصرف فيه كما تتصرف في كلامها واذا فعلت ذلك صارت تلك الكلم مضمومة الى كلامها كالالفاظ المرتجلة والاوزان المبتدأة بها .

ومما يضمن سعة اللغة العربية كثرة المترادفات وهو ما يمين الكاتب المولع بالبديع على شجوه وجناسه وفواصله ، والشاعر المرتبط بميزاته وقافيته وموازنه فوجود المترادفات في اللغة العربية يتوافق مع طبيعتها في السحر والابداع .

وهامي كتب لغة تكفلت بضبط مسميات الالفاظ ومواقع استعمالها وما بين معانيها من الفروق وان قلت ودقت فاذا احكم الكاتب او الشاعر استعمالها كان مصورا للمقاصد والمطالب بكل دقة وبكل وضوح .

واما الاصل الخامس وهو فصاحة اللفظ وبلاغة التركيب فقد بلغت فيه العربية المقام الامثل وقد تجمعت هذه الصفات في مضر ، وانحصرت في قريش ، وتلخصت في النبي الهاشمي صلى الله عليه وسلم كما روى عنه انه قال : « انا افصح من نطق بالفساد بيد ابي من قريش ونشأت في بني سعد » . ومن بلاغته صلى الله عليه وسلم انه تكلم بما لم يسمع من العرب قبله كقوله « مات حتف انفه » - « وحمي الوطيس » - « ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » - الى غير ذلك مما سجله الجاحظ في كتاب « البيان والتبيين » .

لهذه هي اصول حياة اللغة وبقائها ولا نشك في توفر لغة الامراب والبيان على هذه العناصر وانها لم تزول كما كانت لغة العلم والثقافة ، لا تاخر عن مسابرة ركب الحضارة بشرط ان يعمل اهلها على

والمروض والشعر كل ذلك له اسمان لنوي وصنمي» وقد اصبح كل هذا بحكم القرمان من الالفاظ المستحدثة في العربية بالاضافة الى ما كان جاريا عندهم وادرجا بينهم ويرجع الفضل الى القرمان الكريم في ارشاد اهلها الى العناية بها لما حازته من اسباب القوة ، والرقي ، والحيوية ، قال تعالى : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » ، « انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » ، « وكذلك انزلناه حكما عربيا » ، بل هو اعظم ضمان لصيانتها من الضياع وحمايتها من الفساد فهو ديوانها الجامع ودستورها المانع ، ولذلك نمتقد ان الحق والصواب مع من حث ويحث على حفظ القرمان الكريم صوتا لادابها وروحنا عليها لطلابها وقديما قالوا القرمان قاموس من لا قاموس له وسند من لا سند له .

ومن هنا كان لقوة الدولة العربية الاسلامية التي ركزت حياتها على كتاب الله عز وجل اثر كبير في صقل اللغة واستثمارها والتوسع في دلالتها واساليبها لاسيما اذا كثرت الحاجات والمحسوسات وتجددت الوسائل والادوات فان ذلك يساعد على ترقيتها وتوسيع كلماتها ، وما زال الكتاب المصريون بطالموننا كل حين بأسلوب جديد وابتكار فريد وذلك ما يشهد على قدرة اللغة ومرونتها واستعدادها .

واما الرابع وهو وفرة المادة فهو شيء لا تلام عليه اللغة العربية بل وربما شكها اهلها من كثرة مفرداتها وصعوبة الاحاطة بها وهذه معاجمها تهديك الى الحق في هذا الباب فلسان العرب لابن منظور الافريقي بنطوي وحده على ما يقارب ستين الف مادة واذا اعتبرت ان كل مادة يدخلها الاشتقاق وما يتفرع عليه ادركت ان جملة مفردات اللغة لا تكاد تدخل تحت الاحصاء وبذلك استطاعت لغة العرب ان تقوم بنفسها وتستقل عن غيرها مما حسدتها عليه كثير من اللغات الناهضة - ولا عار في وجود الدخيل من اللغات الامعجية فان ذلك لا ينقصها شيئا من استقلالها لان مقومات اللغة المكونة لجهازها تامة وقائمة - ولان اللغات ياخذ بعضها من بعض كما ياخذ الانسان من الانسان وهذا شأن الكائنات يرتفق بعضها ببعض ، الا ان نسبة الاخذ قد ترتفع وقد تنخفض - ولان الكلمات الدخيلة اقلية ولا اعتبار للاقلية مع الاكثرية - ولان هذه الالفاظ اصبحت

ضمان وجودها في حياتهم ، ونفوذها في عالمهم ، وكما يلد لي ان « اورد قصة طريفة اوردتها ابن الاثير في المثل السائر قال : « وحضر هندي في بعض الايام رجل من اليهود وكنت في الديار المصرية ، وكان لليهود في هذا الرجل اعتقاد لمكان علمه في دينهم وفي غيره وكان كذلك فجرى ذكر اللغات وان اللغة العربية هي سيدة اللغات وانها اشرفهن مكانا واحسنهن وضما فقال ذلك الرجل : « كيف لا تكون كذلك وقد جاءت ااخرا فنفت التبيح من اللغات قبلها واخذت الحسن ثم ان واضعها تصرف في جميع اللغات السابقة فاختصر ما اختصر وخفف ما خفف فمن ذلك اسم الجمل فانه عندنا في اللسان العبراني - كوميل - مما لا على وزن فوهيل فجاه واضع العربية وحذف منها الثقل المستبشع وقال جمل فصار خفيفا حسنا وكذلك فعل في كذا وكذا .. »

الا ان نفسي حدثني ان هذا الكلام اساء الى العربية اكثر مما احسن اليها لان اليهود لا يمكنهم ان يتجردوا عن سمومهم واحقادهم في كل ما يمت الى الاسلام والمسلمين بصلة وقد اكد الله لنا ذلك في كتابه الحكيم « لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا » وهذه الاساءة تتجلى في ثلاثة مواضع - الاول قوله : « كيف لا تكون كذلك وقد جاءت ااخرا » والثاني قوله : « ثم ان واضعها تصرف في جميع اللغات السابقة » والثالث قوله : « فمن ذلك اسم الجمل فانه عندنا في اللسان العبراني - كوميل - الخ ووجه ذلك انه يشير الى انها تولدت عن غيرها وانها مأخوذة من اللغات العبرية على الخصوص مع ان اللغة العربية عند المحققين هي شقيقة اللغات السامية وليست متولدة من شيء منها لا كما يزعم بعضهم انها بنت اللغة العبرية والبينة على انها اصل بنفسها - انها اقرب اللغات السامية شبا باصلها حسبما اثبتته الباحثون في نشأة اللغة الاولى وما تفرع عنها من لغات - وانها عاشت في نواحي منزلة عن بقية اللغات السامية وبذلك يصر اتصالها بها بصلة الاشتقاق والتفرع .

فاللغة العربية في غنى عن شهادة اليهود - اذ هي اوضح وسيلة للتمييز عن الاغراض واقدر على تصوير الحقائق وتحليل الغوامض ، واوسع من ان تضيق من موضوع او محسوس - وهي لغة التنزيل الذي يعتبر حدانا عظيما في تاريخ اللغة العربية لانه

نموذج جديد تطورت العربية فيه فكانت خليفة ان تكون عربية من دين جديد هو في الحقيقة حضارة جديدة ومن الطبيعي ان تتطلب هذه الحضارة الطريفة مادة لغوية جديدة تسمى اللغة الاسلامية او الالفاظ الاسلامية - ومن اجل ذلك وجد الباحثون انفسهم في حاجة الى وضع مؤلفات تشرح هذه اللغة الجديدة فكانت هي الكتب التي تحمل عنوان مجال القران ، او غريب القران ، او مشكل القران ، او تشبيهات القران ، او معاني القران ، فمثلا الفاظ الصلاة والزكاة والصوم والجهاد والقرض والسنة والصدقة والنافلة والحديث وغير ذلك مما يدخل في نطاق اللغة الجديدة - دلت على معان جديدة في هذه الفترة التاريخية من تاريخ اللغة العربية .

ولغة القران والحديث طبعت اللغة العربية بطابع واضح مبين هو التزامها الاحراب الذي لم يكن شاعرا ولا مستعملا على نحو ما التزمته نصوص القران ومعنى ذلك ان العربية في لهجاتها المتعددة لم تكن تتقيد بضوابط الاحراب ولكن لفظة التنزيل هي التي جعلت الاحراب سمة لازمة للعربية التي اريد لها ان تكون كذلك - وعلى هذا فلم يدخل عصر من عصور التاريخ اللغوي من ازدواجية في اللغة - لغة نصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته ، ولغة هامية تستعمل في التخاطب والتفاهم ، وربما تعدى الامر فيها مسألة الاحراب الى الالفاظ نفسها حيث تكون بعيدة عن الالفاظ الصحيحة - وعذر العرب انهم كانوا يتأخمون اقواما في اطراف الجزيرة العربية فاعدهم ذلك وغير لسانهم وحرف كلامهم - واعتبارا لذلك يمكن ان تكون صيغ الجموع وغيرها راجعة الى اختلاف اللهجات الخاصة اذا كانت قريبة من اللغة الاصلية .

وعلى اي حال فاللهجات العديدة ، والاستعمالات الجديدة التي لا يعترف بها علماء العربية ما هي الا نتيجة للتطور الطبيعي في اللغة واستمرار لحياتها من حيث انها فرضت نفسها فرضا وجمعت حولها جموعا من الناس .

ومن الاستعمالات الجديدة ما روي ان احد الظرفاء جاء الى ابي تمام الشامي المشهور وساله ان يعطيه قارورة من ماء الملام حيث انكروا عليه قوله :

لا تسقني ماء الملام فانني
صب قد استعدت ماء بكالي

في تأليفه هو التشبيه القائم في قول امرئ القيس
أبتلني والمشرني مضاجسي
ومسئونة زرق كانياب الهوال

هل المشبه به معلوم أو مجهول - وهذا الكتاب
يفسر ما في الآيات الكريمة من مواد غريبة ، ويبين
وجوه نظم القرآن التي يوجد مثلها في كلام العرب،
ويتضمن كثيرا من مسائل البلاغة كالتشبيه
والاستعارة والكناية ، والتقديم والتأخير والإيجاز
والإلتفات ، ورتبه صاحبه على حسب ترتيب سور
القرآن وآياته ليسهل تناوله ويعم نفعه ان شاء
الله - وكتاب «غريب القرآن» او «مشكل القرآن» لابي
محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة
213 هـ ورتبه كترتيب ابي عبيدة ، واعتمد فيه على
كتاب ابي عبيدة وعلى غيره ممن سلك هذا المسلك
والمراد انه اخذ من ذلك اخذ الناقد البصير الذي
يمرف ما ياخذ وما يذر ولذلك تراه مرة يتقد نقدا
لاذما واخرى نقدا هادئا - وكتاب «تلخيص البيان»
في مجازات القرآن ، لابي الحسن محمد بن ابي
الحسن المعروف بالشريف الرضى ، المتوفى
سنة 406 هـ بين فيه ما في القرآن من
استعمالات مجازية ونهج منهج ابي عبيدة في الوضع
والتقرير - وكتاب ابي القاسم عبد الله بن نايقا
البغدادى المتوفى 485 هـ الذى حلق في اجواء
الفناء ، واضفى على التشبيهات القرآنية أنوارا
جديدة وقدم معلومات وافادات طريفة فحق له ان
يكون مرجعا في الدراسات القرآنية والبحوث
البلاغية والاسرار اللغوية - وكتاب «الإيجاز في انواع
المجاز لابي محمد سلطان العلماء عز الدين بن هيد
السلام الشافعي المتوفى سنة 660 هـ بداه
بمعلومات قيمة عن المجاز والبلاغة ورتبه على سور
القرآن الكريم وختمه بطرائف وفرادى .

فقال له ابو تمام لا اعطيك ما سالت حتى
تاتيني بريشة من جناح الذل وهو يشير في جوابه
اللطيف الى قوله تعالى في الوصية بالوالدين :
« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » وهو يريد
ان يقول ان لاستعمالات المجاز في العربية الوانا من
الإبداع والابتكار فكما ان لغة التنزيل ابتكرت
المجازات الدقيقة اللطيفة ، فصارت من انفس نفالس
العربية ، كذلك يكون من حق الشاعر المبدع ان
يبتكر في استعمال المجاز .

ولا ننسى ان المجاز قام بدور كبير في تطور
اللغة وفي مسألة الدلالة ، والمجاز واقع في كل زمان،
وقام بكل لسان، والكلمة خاضعة للتغير بحكم الطبيعة،
وبحكم الشريعة .

وبعد فقد علمنا - ان انتشار الاسلام كان من
اقوى العوامل في انتشار اللغة العربية اذ هي لسانه
واداته - ومن مادة الناس انهم يتسارعون الى تعلم
لغة الغالب لكي يضمنوا لانفسهم تقريبا من الدولة
الغالبة فيتسنمون المراكز ، ويترسمون المناصب
وذلك شأن المغلوب مع الغالب فلغة الفاتح تنتصر
عندما ينتصر وتستقر عندما يستقر وامان على ذلك
هنا ما في تعاليم الاسلام من التسامح واقامة
ميزان الحق والعدل ، فاقبل الناس على الاسلام وعلى
لغته وسار الاسلام وسارت اللغة معه قدما بقدم -
وقد اثر القرآن الكريم تأثيرا عظيما في اللغة والبلاغة،
وكان باعثا قويا على تدوين اصولها وقواعدها ،
وسائر علومها .

ومن الكتب التي عنيت بدراسة لغة القرآن
واساليه كتاب «مجاز القرآن» لابي عبيدة معمر ابن
المثنى اللغوي المتوفى سنة 208 هـ وقد كان السبب

نظرة في الصّلات العربيّة الفارسيّة حتى مطلع الإسلام

الدكتور محمد التونجي

وبما أن حديثنا محاط باطار تبادل التائر والتاثير بين العربية والفارسية ، فلذا ذكر أن للعربية فضلا على الفارسية هو فضل اتمام النقص وسد الحاجة من المفردات التي انتشرت في اللغة الفارسية، مع اقتباس وتشييع بالادب العربي وتاريخه وتاريخه تطوره اثر انتشار الاسلام والعربية في الشرق المسلم . وقد اخذوا منا كثيرا واخذنا منهم اكثر ، اخذنا منهم في العصر الجاهلي والاموي والعباسي والانحطاط ، ولا زالت بقاياها في لغتنا الحديثة الفصيحة منها والعامية، واخذوا منا منذ صدر الاسلام ، ولا زالوا ياخذون حتى اليوم . والعالم عندهم ، قديما وحديثا ، هو الذي يجيد العربية قدر اجادته للفارسية ، ومقياسهم العلمي والادبي للمرء مقدر بمدى معرفته للعربية وتمكنه منها .

يقول العوفي في كتابه « جهار مقاله : المقالات الاربعة » ، في هذا الشأن ما ترجمته : « لا يبلغ كلام الكاتب درجة عالية حتى يأخذ من كل علم نصيبا ، ومن كل استاذ نكتة ، وينبغي أن يمتاد قراءة كتاب رب العزة ، واحاديث المصطفى ، والنظر في صحف الخلف مثل ترسل الصاحب والصابي وقابوس ، والفاظ الامام وقداما ، ومقامات بديع الزمان ، ورسائل عبد الحميد ، ومن دواوين العرب : المتنبي والابيسوردي والغزالي . ومن شعر العجم الازرقني والفردوسي » .

للتبادل الثقافي مرحلتان : مرحلة ما قبل الاسلام ومرحلة ما بعده . وبما أن المجال ضيق والحديث

نعم ان العرب والعربية ، يوما ، وصلا اقصى الشرق واقصى الغرب ، اقصى الشرق حتى بلغوا مشارف الصين وتمديباها ، واقصى الغرب حتى وطلا اعلى جبال البرانس وتخطياها . وقد سارت العربية مع الركبان ، وتغنى بها الحداء ، فسمعها الاغراب عن الاغراب ، فهزهم الشوق الى معرفتها ، فاقبلوا عليها يتعلمونها او غيرة من شهرتها وسلاستها ، فمالوا عليها يريدون أن يمشوا بها ولكن :

كناطح صخرة يوما ليوهنا

فلم يضرها ، واوهى قرنه الومل

ولقد خرجت اللغة العربية في العصور القديمة من الارومة السامية تاركة شقيقاتها : الفينيقية ، الكنعانية ، الاشورية ، العبرية . . وغيرها لتفوقها اسماها وامكانية عشرات المرات ، ولتفوز وحدها لغات فارس ، وباكستان والهند وتركية ، ثم شمال افريقية وقلبها والاندلس وجنوب ايطالية . ولقد لمست اللغة العربية كل لغة من لغات تلك المناطق لمسات تتراوح بين التاثير الزهيد والدوبان التام .

ولا يعني حديثي هذا ان العربية اثرت ولم تتاثر ، لا ، فما من لغة في الدنيا لم تطعم غيرها ولم تتطعم بفيرها ، واللغة التي لا ترفد ولا ترفد تعتبر جالسة ضيقة المحيط والامكانية . كما لا يضير لغة تاثرها بجاراتها او بجاراتها ، ولا يحط ذلك من قدرها .

وقد كانت الاتصالات العربية الفارسية قبل
الحيرة غالبا عبارة عن معارك وأهانت من قبل القبائل
لتنسفيد من خيرات فارس ، فيقوم جند كسرى لصد
وقتل العابثين .

اما من الناحية التجارية ، وهو امر هام كذلك ،
فقد كانت الجزيرة العربية سوقا لبضائع فارسية
وهندية ، كما كانت محطات لقوافل فارسية ، كانت
في طريقها الى بلاد الروم او الى بلاد اليمن السعيد .
وقد كانوا يخشون على قوافلهم التجارية من هجمات
القبائل لذا استعانوا بالعرب كثيرا ، كما اشرت ، على
هذه القوافل ايام السلان والصفقة . وقد كانت مكة ،
كما نعلم ، سوقا عالمية ، فيها تجار من شتى الاقاع .
وكما يحدثنا الواقدي انه كان فيها ممثلون تجاريون
لفارس وبيزنطة ، كما كانت اللراهم الفارسية من
العملات الرائجة آنذاك . وقد كانت بلدة « جرة » على
الخليج العربي سوقا تجارية لبضائع الهند وفارس ،
وقد أسست هذه المدينة في القرن الرابع قبل الميلاد .

وعندما ازدادت اتصالاتهم بالمغرب ، حربيا
وتجاريا ، فكروا بتأسيس امارة على تخومهم ، يحمون
بها انفسهم مغبة هجمات القبائل ، فأسسوا دولة
المناذرة في العراق ، ومهمتها جمع الضرائب وتقديمها
للبلاط الاعجمي ، وحماية التخوم ، كما فعل الروم
بتأسيس دولة الفساسنة على تخوم الشام .

ونظرا الى اهمية الحيرة ومكانتها من الادب
العربي والعلاقات مع الفرس ، ونظرا الى النهضة
الشعرية التي برزت فيها ، اجدني مضطرا للوقوف على
ابواب الحيرة وتصريها ، لاطرقها ، ولانتظر جواب
محدثنا عن الخورنق والسدير .

ترجع نشأة هذه الدولة الى « جذيمة الابرشي »
الذي خضع للفرس ، واستعان بهم على شسء من
السيطرة على القبائل في بادية الشام . ثم ان « رقاش »
أخت جذيمة تزوجت رجسلا من بني اخوالها اسمه
« عدى بن نصر اللخمي الايادي » ، ورزقت منه صبيا
سمته « عمرا » ، فلما مات جذيمة عام 268 م خلفه
عمرو هذا ، واتخذ الحيرة على مقربة من « بابل » ومن
الكوفة اليوم ، منزلا له . فمن عمرو هذا جاء ملوك
الحيرة .. وقيل غير ذلك .

ويظهر ان كلمة (الحيرة) سريانية ، ومعناها
المسكر ، وهي في الاصل (حرثا) . وقد كانت مكونة
من قصور محصنة حول ميدان واسع . وينسب بناءه
قصرى الخورنق والسدير الى النعمان الاول السدي

شيق ، والمرحلتان واسعتان ، فاني اكتفي باستعراض
لمحات ترمي الى مدى التبادل الثقافي الذي كان
يجري في الجاهلية وحتى مطلع القرن الهجري الاول ،
مرجئا الحديث عن المرحلة الثانية ، وهي الاوسع ،
الى مقالة ثانية ان شاء الله .

اما المرحلة الاولى فقد كان العرب على اتصال
مع الفرس منذ كوروش الذي توفي (550 ق. م) اذ
دفعوا له الجزية ، ثم اهانوا ابنه « كجوجية » ، والذي
اسماه العرب (قمبيل) ، عام (525 ق. م) على
فتح مصر والسودان . كما يروى ان الفرس كانوا
يعظمون البيت الحرام ، ويحجون الى مكة ، ويطوفون
بالبيت ، ويذمزون على بشر اسماعيل . ومن جملة
الاكاسرة الذين حجوا الى مكة « ساسان بن بابك »
مؤسس الدولة الساسانية . وفي ذلك يقول أحد
الشعراء الفرس مفتخرا :

وما زلنا نحج البيت قدما
ونلقى بالاباطح آميننا

وساسان بن بابك سارحتي
اني البيت العتيق يطوف ديننا

نطاف به وزمزم عنسد بشر
لاسماعيل تروي الشاريننا

وقد وجدت مدينة عربية بين دجلة والفرات في
زمان « شاور بن اردشير » سنة 273 م ، قبل ان
تعرف مدينة الحيرة وكان اسم مالكا « الساطرون » ،
والعرب تسمى المدينة « ضيزن » ، وسكن فيها
قبائل من قضاة وبني مبيد ابن الاجرم . وكان
الساطرون على حرب دائم مع شاپور . وقد استطاع
هذا فتح المدينة وقتل الساطرون ، وفي ذلك يقول
« عمرو بن آله » :

الم يحزنك والانباء تنمي
بما لاقت سراة بني مبيد

ومصرع ضيزن وبني آبيه
واحلاس الكتائب من تزييد

اتاهم بالفيلول مجللات
وبالابطال ، سابور الجنود

فهدم من اواسي الحصن صخرا
كان ثقاله زبر الحديد

اوائل البعثة الى مكة ، معاديا في ذلك الدين الاسلامي .
ولقد رحل بعض العرب الى بلاد الفرس بقصد

التنزه والسياحة ، او كانوا رسل الملوك والتجار
فراة امينهم معابدهم الكبيرة ، ومبانيهم الفخمة ،
وراوا كيف يمشون ويطعمون ويشربون ، وسمعوا في
مجالسهم الحكايات والاقاصيص وحياة الملوك ، فائر
هذا الى حد ما ، في عقلية العربي ، والشاعر منهم
خاصة ، فذكر ما رأى واستفاد من هبرهم ، واقتبس
من معتقداتهم .

كما كان عرب الحيرة اذ ذاك في رخاء يحسداهم
عليه فبرهم من العرب ، ولخصب ارضهم ولغنى
اقلبيهم . فكان اذا جاء الشاعر الى الحيرة يتأثر
بالطبع من هذه الزيارة ، فيتسع خياله وتناغم افكاره .
وعلى هذا فقد كان لكل ما مر اثر في الادب العربي وفي
الحياة الحضارية والعقلية . فأحاديث جديمة الابرش
واساطير الزباه ، والخورنق والسدير ، والاقاصيص
حول سنمار ، والامثال التي ضربت فيه ، ويومنا
النعمان : نعيمه وبؤسه . كل ذلك وغيره كان سببها
هذا الاتصال الذي كان يجري بين الامتين المعنيتين
ومن اهم الشعراء العرب الذين ذهبوا الى بلاد فارس :
الامشى ، والذي لقب « صناجة العرب » ، وصناجة
كلمة فارسية من (جنك - سنج - صنج) وهي الآلة
الموسيقية المؤلفة من قطعتين معدنيتين مدورتين
يضرب بهما . ويكفي ان نورد قطعة من شعر الامشى
لنستدل على كثرة الالفاظ الفارسية المستعملة في
الجاهلية . يقول في مجلس انس يصف الخمرة وساقها
والازهار المحيطة بهم . وتجد ثمانى عشرة لفظة
فارسية اقلها في وصف الازهار ، في سبعة ابيات :

بيابل لم تعصر فجاوت سلاله

تخالط قنديدا ومسكا مختما

يلوف بها ساق علينا مشوم

خفيف ذليف ما يزال مقديما

بكاس وابريقى كان شرابه

اذا صب في المصحاة خالط بقما

لنا جلسان عندها وينفسج

وسيسنبر والمرزجوش منمنما

وآس وخيرى ومرو وسوسن

اذا كان هنزمن ورحت مخشما

وشاهسفرم والياسمين ونرجس

يضبحنا في كل دجن نفيما

حكم بين 400 - 418 م . وقد بنى النعمان قصر
الخورنق قرب الحيرة ، بناه المعمار الرومي الشهير
« سنمار » . والخورنق كلمة فارسية اصل لفظها
(خورنكاه) او (خورنه) ، وهو الابوان لدى ملوك
الفرس ، كان يستخدم للاستفادة من اشعة الشمس
وللمصادة ، وهربت الكلمة الى (خورنق) ، ثم صارت
في مصر (الكرنك) .

كما بنى السدير في بادية الشام ، واصل الاسم
(سه دير : القباب الثلاث) . وقد بناهما النعمان
عندما ارسل « بردكرد » وهو « بهرام كور : بهرام
الحمار » الى الحيرة لينشأ نشأة فروسية ، ويربى
تربية قوية ، ويتعلم الفحص ، وينعم بجودة الهواء ،
وكم تفضى الشعراء بجمال هذين القصرين ، وخاصة
هدى والامشى .

وتعلم بهرام هناك العربية ، ويحكى انه قال
الشعر العربي ، كما نسب اليه اول بيت شعر
بالفارسية . وبعد وفاة ابيه نازعه اخوه على الملك ،
فاستعان بالعرب ليصل الى الملك ، وكان له ذلك ،
ولما اهتلى العرش لم ينس ما كان لعرب الحيرة من يد
عليه فبرهم وأعلى شأنهم .

وقد كان للنعمان كتابات عسكرية اهمها اثنتان
الاولى (الشهباء) وهي فارسية ، والثانية (دوسر :
ذات الراسين) وهي عربية . وقد انتقلت التجارة
الفارسية رسميا الى عرب الحيرة ، فنقلوا بضائعهم
وحموا قوافلهم .

نستدل من ذلك كله ان التبادل جرى عن طريق
التجارة اولا وعن طريق الجوار سلما وحربا ثانيا .
هذا الاتصال الوثيق كان يجبر الطرفين ان يستخدموا
مترجمين يقومون بالاتصال بين القصرين العربي
والفارسي ، ومترجمين يرافقون اصحاب القوافل
التجارية . فقد كتب (لقيط بن يعمر الايادي)
لكسرى وترجم له ، وكان (هدى بن زيد) من ترجمة
كسرى ابرويز ، كما كان ابوه زيد على معرفة
بالفارسية .

كما كانت مدرسة (جند يشابور) معهدا
لدراسة الطب والفلسفة والموسيقى ، فرحل بعض
العرب لتعلم الطب ، منهم (العارث بن كدة الثقفي)
الذي اتمن في ذلك المعهد الطب والعرف . وذهب
كذلك ابنه « النضر » الى هناك ، وكلف بالفارسية .
وهو الذي كان يحكى اقاصيص رستم واستفنديار في

فقطع العرب احزمة رواحل نسايم ، ليستميتوا
دفاها عن الحرائر اللوائي لا يستطن الفرار على رواحل
تقطعت احزمتها . فاتجلت الممركة من هزيمة الفرس ،
فأشاد الشعراء بقبائل بكر وشيبان وعجل خاصة ،
كقول الدهان بن جندل :

ان كنت ساقية يوما على كرم
فاسقي نوارس من ذهل بن شيبانا
واسقي نوارس حاموا من ديارهم
واعلى مفارقهم مسكا وربحانا

وكان العراق من اخصب اراضي الجزيرة
بنهرها ، وبالحضارة المتبقية من حضارات الامم
الاصلية ، ومن المناثرة المتأثرين بحضارة الاكاسرة .
وقد امر عمر بن الخطاب (رضى) انشاء مدينتي
البصرة والكوفة حول الحيرة ، فتحوط اليهما كنوز
المدائن وحضارة البلاد . وبما ان سكان هاتين
المدينتين من العرب ومن الموالي ، فقد اضطر هؤلاء
الى تعلم العربية ، فكانوا اول من اتقن العربية والف
فيها .

ولما استقر الاسلام والعرب في العراق وفارس
وخراسان حصل الاتصال المباشر بين الامتين . لذا
فقد اختلفت عوامل الاتصال والتبادل الثقافي بمد
الاسلام عنها قبل الاسلام . فلم تعد فردية ، كما لم
تعد سطحية او ضيقة المجال الزمني ، واذا رجعت
كفة الفرس في الجاهلية ، واذا كان التأخر من طرف
العرب هو الغالب قبل الاسلام فقد اختلف الامر منه
بعد الاسلام ورجحت كفة العرب ، نظرا الى ان الاتصال
جماعي وعميق وطويل الاجل .

ويرجع السبب الاول لهذا الاتصال الى فتح
العرب لارض فارس وحكمها . ولن اتحدث عن المارك
التي جرت بينهما حتى استقر الامر للعرب ، فهذا
حديث طويل لا تسعه صفحات ضيقة المجال ، كما
انه ليس محور حديثنا . ومن نتيجة ذلك انفسج
المجال لتيارات وصلت الشعبين ببعضهما حياة
وتكرة . وصارت الخيوط التي كانت تصلهما في
الجاهلية طرقا نسيحة مبهدة ، وصارت العلاقات
الفردية روابط اجتماعية وثيقة ، واصبحت الصلات
الموقوتة مري دامت قرونا نسيحة . وحسبنا ان
نشير الى ان العرب اسسوا على حدود الفرس مددا
من المدن اتخذت الطابع الفارسي ، كما كان اسم
اغلبها فارسيا ايضا ، من ذلك : البصرة (بسراه :
بعد الطريق) ، الكوفة ، الانبار (المخزن) ، ثم صارت

ومستقى سبنين وون ويربط
بجاويه صنع اذا ما نرمنسا

وهناك ، كذلك غير الاعشى ، عدى بن زيد الذي
كان ميلا للفرس في بلاط الحيرة . ولن ننسى النابغة
الذياني وصاحبه النعمان ابا قابوس ، وما كان له من
فضل على ايجاد باب الاعتذار في شعر المصرب ،
واستخدامه للالفاظ الفارسية في الشعر العربي ، ثم
هناك قيس بن الخطيم ، وطرفة ومالك بن نويرة ،
وعمر بن كلثوم ، وحسان .

وتعتبر العقائد من اكثر الامور تأثرا في الامم وفي
آدابها . فقد عرف العرب في الجاهلية الزردشتية وهي
المجوسية ، والمناوية ، والمزدكية . وقد تجلى ذلك
بتقديس العرب للنار المقدسة عند المجوس بحلهم بها
وبوصفها ، كما عبد بعض العرب الشمس وهي من
عناصر الطبيعة وهي التي عبدها الفرس والشرق ،
وبدا ذلك كله في شعرهم . ونجد بقايا ذلك في اشعار
الشعراء بعد الاسلام كبشار والمعري والمتنبي وابى
تمام . ولا ادل على تأثرهم بالاديان الفارسية من قول
ابن قتيبة في كتابه (المعارف) ، مند كلامه على اديان
العرب في الجاهلية :

« وكانت النصرانية في ربيعة وفسان ، وبمضى
قضاة ، وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة وبني
الحارث بن كعب وكندة ، وكانت المجوسية في نيمم ،
وكانت الزندقة في قريش . . اخذوها من الحيرة » .
وقد رفض المنذر الثالث ائتماق المزدكية فعزله
قبلا ومين مكانه الحارث بن عمرو امير كنده . بعد ان
اعتنق المزدكية .

وتذكر كتب التاريخ ان يوم ذي قار (610 م) ،
فخر العرب ، حصل فيه اول معركة قام بها العرب
باجماع تقريبا ضد امة عربية حاكمة ، واحداث هذه
المعركة معروفة ، وقصة ظفرنا فيها تحكي صفحة من
صفحات مجدنا العريق . فقد قتل النعمان عدى بن
زيد ، فرد كسرى انتقامه بقتل النعمان ، فاستمد
العرب واستمد الفرس . وكانت النسوة العرب
يخرسن الرجال عن الاستبسال ، ويلهين بطولتهم
بأناشيد حماسية ، منها :

ان تهزموا نمانق
ونفرش النممارق
او تهربوا نمارق
نراق غير وامق

في العامية عنبر) ، بغداد (الله المعطي ، حديقة الله) . . وسرعان ما امتلأت هذه المدن بالعرب ، وسرعان ما وفد إليها الفرس . ثم غدت مراكز للثقافة العربية الإسلامية .

كما اعتنق الفرس الإسلام مختارين ، تخلصا من المظالم التي اصطلوا بناها قبل الإسلام ، فتسابقوا إلى تعلم العربية على أنها لغة الدين والحكم . وقد ازداد الاختلاط في زمان العباسيين ؛ وكما نعلم أن للفرس ضلعا قوية في تأسيسها . ولقد زاحم الفرس العرب في الوزارة والحجابه وقيادة الجيوش وجباية الاموال وولاية الاقاليم وإدارة الدواوين ومنادمة الخلفاء وقرض الشعر .

ولقد دخلت القرآن الكريم الفاظ فارسية منها : ابريق . طبق . سراب . سجيل . جرف . سندس . مسك . كافور . خندق . استبرق . كنز . ومن شاء الاطلاع على الالفاظ الفارسية في القرآن فليرجع إلى الاتقان للسيوطي أو إلى المعجم الذي كتبه « آرتور جفري » في الدخيل من كلمات القرآن التي قبسها العرب من الفرس ، وهي مما سنتحدث عنها في مقالتنا القادمة .

* * *

ومن الحق أن نقول أن للفارسية فضل راب الحاجة الحضارية وسد النقص اللغوي الذي تطلبه

المعصر الجديد بعد الفتح ، فدخلت في قرآنا ونثرنا وشعرنا وأمثالنا . وإذا كنا نأثرنا بهم حكما وسياسة وتابعة ودينا ولغة قبل الإسلام ، فإننا أثرنا باستقلالهم وأديانهم ولغاتهم بعد الإسلام . ولما ضاع استقلالهم ، واندمجوا في دولة الإسلام التي قادها العرب ، ولما ضاعت أديانهم وذابوا في الديانة الإسلامية انغمسوا في العربية ؛ قرآنها وآدابها وعاداتها . وما هي الا فترة وجيزة حتى غدت الالفاظ العربية مبنوثة في النصوص والاحاديث الفارسية بشكل لا يمكن التخلي عنه بآية حال . فما من نص الا وفيه ثلاثون بالمائة أو أكثر من الالفاظ العربية ، وما من قصيدة الا واغلب قوافيها عربية .

ويعتبر الاثر العربي الاول في الفارسية تغيير الخط البهلوي الصعب بالخط العربي السهل ، فنراه منذ اوائل الإسلام يغيرون الالفباء البهلوية بالالفباء العربية مضيفين إليها أربعة حروف فقط لم يكن رسمها موجودا في العربية لعدم وجود نطقها ، فرسموها بشكل مناسب للحروف العربية القريبة النطق منها . فكتبوا (ب) باء بثلاث نقاط ، و (ج) جيما بثلاث نقاط ، وكذا (ث) زايا بثلاث نقاط . ووضعوا خطا آخر فوق الكاف لكاف الفارسية .

(يتبع)

إفريقيا المسلمة متحمسة للغة القرآن ... ولكن ضعف الوسائل يحول دون انتشارها

شيخ شريف مكي حيدر

(حلب)

تحمله حروفها وحكماتها من دلالات ومضامين هدتهم الى فهم آيات القردان واحاديث النبي وكل ما يتصل بروح الشريعة الاسلامية حتى اخذوا يؤلفون بالعربية دون لغاتهم الاصلية التي ما كانت لتستطيع التعبير من آرائهم وخواجهم بهذه الافاق المنطلقة .

والتأليف التي تركوها نقل في قيمتها العلمية من التي ألفها ابناء العرب الخالص .. ولا مبرر لهذا الاتجاه الا الحائز الذي دفعهم لادراك اسرار الشريعة الاسلامية ، ثم النزعة التي فاضت بها القلوب بحب هذه اللغة التي نزل بها القرآن فكانت الشعلة التي اوقدت الافكار فتركوا لنا تراثا ضخما ما تزال البشرية تعيش على روايته مختالة فخورا ..

ولا مجال لذكر الاعلام الذين ألفوا في العربية فهم من شتى الامم ، من الفرس والتراك والديلم والهنود ، حسبى ان اذكر الفارابي ، وابن جني ، والغزالي ، وابن سينا ، والفخر الرازي والبيروني ، والسهورودي ومشرات من الفحول الذين تركوا لفتحهم وكتبوا تأملاتهم وادراءهم في الدين والتصوف والعلم والادب والحكمة - كتبوها بالعربية الفصحى وما تزال متداولة حتى يومنا هذا ..

وفي خزانتي كتاب باللغة التركية عنوانه « عثمانلي مؤلفري (1) لمؤرخ اديب اسمه «بروسلي

لم اظهر مظاهر الترابط بين الاسلام ولغة القرآن ، ان الاسلام لا يمكن ان يفهم فهما كاملا بدون التعمق بدراسة لغة القردان ..

فقد نزل الوحي الرباني على النبي الكريم بهذه اللغة التي جمعت فاضت .. وكانت من البلاغة وسحر القول ما هز النفوس وايقظ الضمائر ..

وحين استفاضت الدهوة المحمدية لم تشمل العرب فحسب ، بل تجاوزتها الى الكثير من اقطار الدنيا فاستجابت لها امم من الشرق ومن الغرب ، متباعدة الاهداف والانظمة والمقائد واللغات - استجابت للدهوة المحمدية لا لشيء الا لما تضمنته من مبادئ انسانية ونزهات مثالية ونظم خيرة وسنن كريمة ..

وقد اقبل غير العرب على تعلم لغة القردان بغيرة فهم محكم آياته فانكشفت لهم آفاق ترفع من كرامة الانسان وتصون حقوقه وتثبته ليكون اداة بناء في دعم الحضارة الانسانية ..

وما هي الا فترات لم تطل ، جيلا بعد جيل ، حتى كانت العزبية ، قد هزت افئدة فطاحل الرجال الاذكياء من مختلف الامم ، ففكفوا وهم يدرسونها ، على التعمق في اسرارها فما كادوا يلمسون هذا الجمال ، وهذا الغنى في الفاظها ومفرداتها ، وفيما

(1) الكتاب في مجلدين كبيرين نيفت صفحتاهما على الستمائة صفحة بالحرف الصغير .

محمد طاهر» ترجم فيه لمئات المؤلفين الاتراك الذين دونوا علومهم بالعربية .. فهم مؤرخون وأطباء ورياضيون وجغرافيون وشعراء وأدباء وعلماء — الفوا بالعربية وبالتركية والفارسية وما الفوه بالعربية اكثر ..

وافتح هذا الكتاب على غير هدى ، واقرا سيرة عالم عرف باسم الـ «الكافجي» او «الكافيه جي» اسمه ابو محمد بن سليمان بن مسعود الهومي احد فضلاء الاتراك ، هجر قريته « برغمه » وقام برحلات الى اطراف الاناضول ، والى ايران ، والى آسيا الصغرى يتصل بالعلماء وياخذ عنهم ، ثم انتهى به المطاف الى مصر فاتصل بالملك الاشرف بريسي الذي اكرم وفادته وخلع عليه الخلع ، ثم ناط به احدى الرتب العلمية .

لقد ترك هذا المؤلف التركي عشرات الرسائل والكتب بالعربية منها :

- 1 - التيسير فى علم التفسير
 - 2 - انوار السعادة فى شرح كلمة السعادة
 - 3 - تشريح مسألة الاستثناء
 - 4 - الاشراق فى مراتب الطباق
 - 5 - سيف القضاة على البغاة
 - 6 - الفرح والسرور فى بيان المذاهب
 - 7 - نزهة الارواح ولهبة الاشباح فى التصوف
 - 8 - شرح تهذيب المنطق والكلام
 - 9 - منبع الدرر فى علم الاثر
 - 10 - منازل الارواح
 - 11 - المختصر المفيد فى علم التاريخ
 - 12 - حل الاشكال فى مباحث الاشكال والهندسة
 - 13 - تفسير الآيات المتشابهات
 - 14 - نزهة المغرب فى المشرق والمغرب
- ويصل عدد هذه الرسائل والكتب الى الأربعين كتابا .

واكثر الكتب التى اشار اليها مؤلف الكتاب ، هي مخطوطات لى مكتبات استانبول والاناضول ..

ولا اعلم اذا كانت بعثة الجامعة العربية لتصوير المخطوطات العربية التى قامت بمدة رحلات الى تركيا - قد اهدت الى هذه الآثار وصورت بعضها ..

* * *

كان علماء الاتراك فى عهد السلطنة العثمانية يؤلفون الكثير من كتبهم بالعربية كعلماء الفرس تماما ..

ومنذ عهد الغازي اتاتورك ، وقبله بسنوات ، اي منذ ذرت « المنصيرية الطورانية » قرنها - توقف هذا الاتجاه ، بل قضي عليه تماما بعد ان استبدل الاتراك الاحرف العربية بالاحرف اللاتينية - وهذه جنابة لا تفنفر لرضها اتاتورك على الشعب التركي الذى فصل بينه وبين الحرف العربي المقدس الذى نزل به القرءان .. وكانى به قد مس الاخوة الاسلامية فى الصميم وجعله يتجه الى الغرب بدل ارتباطه بالشرق وبالشرق الاسلامي بصورة خاصة .

واستدرك فاقول ان الشعب التركي بمجموع افراده وطبقاته ومجتمعاته متدين صديق التدين ، يفيض قلبه بروح الاسلام ، وما يزال مرتبطا بحسه وقلبه وضميره ببلاغة القرءان .. ولكن هذه الصلة بين الروح الاسلامية وبين الجيل الجديد سيمروها شيء من البلبلة والتفكك الا من عصم ربك !

اذكر بهذه المناسبة ان نقاشا كان دار بيني وبين صاحب جريدة « آقشام » - الماء - الاستاذ نجم الدين صادق - وهو من انصار اتاتورك المتحمسين - دار هذا النقاش حول الحرف اللاتيني ، واذكر انه قلت له : ان الجيل الجديد سيعيش فدا فى متاهات مظلمة حين يبحث من اصل الكلمات التى دخلت لفته - وقد دخلها الكثير من لغات الشرق والغرب - . وضربت مثلا عدة كلمات منها كلمة « المحبة » - والاتراك يقبلون الحاء «هـ» فيلفظون المحبة « مهبت » ، وامثالكم من الجيل القديم يدرك ان اصل الكلمة من «الحب» وهي كلمة هريية ، اما الجيل الجديد - وقد قطع صلته بالحرف العربي - فسيجعل الكثير من اصل الكلمات التى يتحدث بها او يكتبها - سيجعل اهي هريية الاصل أم الفرنسية ام سنسكريتية - وبذلك تغطي البلبلة على افهام النشء الجديد الذى سيعيش فى تبه من الرطانات!

واقر بالامر .. ثم قال اننا اخترنا الخطة التى رسمها الغازي ولا حيلة لنا فى الامر ، ولسنا نادمين!

عربية صافية تهرز المشاعر بإيقاعها الموسيقي ، وتثير
الإنهام بمعانيها السامية التي صانت «حقوق الإنسان»
وحددت له واجباته ومسؤولياته نحو الله والمجتمع -
استطاعت لغة هذه الرسالة ان تكتسح بقية اللغات
وان تحتل الصدارة في البيئات الرسمية والشعبية
وعلى السنة القوم على اختلاف نحلهم ومداهبهم ،
وما هي الا فترات لم تطل حتى انقلبت بلاد الشام
عربية اللسان ، وعربية الفكر والقلب والوجدان ،
وانضوت باكثريتها تحت راية القرآن .

لقد كان هذا الحدث من اقوى العوامل
والاسباب التي ربطت ، في الاقليم الذي اميش في
ظلاله ، بين العربية والاسلام .

ومن الشام انطلقت البعثات تنشر هذه
الرسالة، رسالة النبي العربي في انحاء الدنيا ..
تنشر الدين واللغة معا . واذا الاسلام ببلاغة القرآن
وبدستوره المحكم يقضي على الوثنيات ويصبح للغة
العربية هذه القداسة في نفوس القوم والاداة المعبرة
من هواجسهم وآرائهم في شتى شؤون الحياة
والمجتمع ، وفي شتى الوان المعرفة ..

هذا وان دائر لغة القرآن جليلة في انتاج علماء
المجم .

نلمس ذلك فيما كتبه شاعر باكستان
المعظم محمد اقبال ، ففي اكثر كتاباته صور من
نفحات القرآن ، والفاظ تنبع من صميم القرآن .

ونلمس هذا عند شاعر الترك الاعظم عبد الحق
حامد . فالكثير من شعره وادبه مردان بنفحات من
كتاب الله العظيم ..

واستطاع القرآن ان يصون لهجات الجاليات
الاسلامية في الاقطار الغربية - من الهلثة ، بل كان
له اثره في اصفاء رونق جميل على ادبهم . وهذا ما
نلمسه في ادب المهجريين وفتنهم واكثرهم من
اخواننا المسيحيين ا

هذا وقد استطاعت العربية ان تفرض ذاتها
على الكثير من الامم الاسلامية فكان لبلاغة القرءان
اثرها في النفوس وفي العقول وفي الادواق .. ومن
هنا ظل الترابط وثيقا بين العربية والاسلام ، وكان
لهذا الترابط اثره في هير المسلمين ولدى
المستشرقين بصورة خاصة فاننا نقرأ لكثيرين منهم
دراسات باللغة العربية على غاية من العمق والقيمة
الفكرية .

قد يقال ان حكوف المستشرقين على تعلم
العربية يختلف كل الاختلاف على اولئك الذين
اجتذبهم الاسلام الى رحابه ودخلوا في دين الله
افواجا .. ولا نقول غير ذلك .. الا ان غنى اللغة
وسحرها واستيعابها لتزوج الاسلام ولشريعته
السمحة هي التي اجتذبتهم الى دراستها فتركوا
آثارا تمتاز بها الدراسات المنهجية وان شاب الكثير
منها نزغات وشكوك ولوثات لم تخف على الباحثين
الذين تناولوها بالرد على ضوء من الحقائق المجردة
التي ترفض العقل والضمير ويقررها الايمان والفكر
الحس ..

ويعد فليس هنا مجال التوسع في هذا
الاستطراد الذي جاء عرضا وانا اشير الى لغتنا
الجميلة التي عاشت مع القرون وما زالت حية نابضة
معبرة عن الكثير من الخلجات الانسانية ، تأخذ
وتعطي دون ان يصيبها الهزال او الشيخوخة او
الموت الذي اصاب الكثير من اللغات ا

وقد ظلت العلاقة بين الاسلام واللغة العربية
غير منفصلة طوال عصور التاريخ .

ففي بلد الشام، ونرجع الى عهد الفتح العربي،
كانت لغة السوريين خليطا من الآرامية والسريانية
واليونانية وغيرها من لغات ولهجات .

وكانت العربية على لسان بعض القبائل
والمشيخات العربية القاطنة في الاطراف والتخوم ،
فلما جاء الفتح العربي يحمل رسالة السماء بلغة

آثار لغة القرآن في لغة المسلمين العجم الأستاذ سالي الشيباني

أحد زعماء أفريقيا السوداء (دكان)

انتشار الإسلام في بقاع نائية مثلا لا تمت إلى العرب بصلة وليس لها أي أمام باللغة العربية . فالإسلام لم يصل إلى هذه البقاع إلا من طريق من حملوا هديه ورسائله وانطلقوا ينشرون تعاليمه في مشارق الأرض ومغاربها . أوليس طارق بن زياد هو الذي حمل الإسلام إلى الأندلس والمغرب من طريق الفتح ؟ . . أوليس عقبة بن نافع هو الذي حمل الإسلام إلى أفريقيا السوداء ينشر تعاليمه ويبشر برسائله من طريق حملاته التوسعية ؟ .

لقد توسع الإسلام في أفريقيا دون وجود بيئة تلم بالعربية أو تجيدها . وكان الفضل في ذلك لمواعظ كبار العلماء وجهودهم من جهة ، ولتوفر الاعتماد الفطري عند الأفارقة لتقبل الدعوة . ففي منطقة « الكازامنس » في السينغال مثلا : كان وجود علماء كبار من أمثال والدي المرحوم الشريف يونس ضرورة أكيدة وهاملا هاما في نشر الإسلام ، واكتساب العدد الأكبر من السكان إلى جانب الدعوة .

لا بد للباحث في هذا الموضوع أن يأخذ بعين الاعتبار عاملين هامين رافقا للإسلام :

– أولهما : هبوط الوحي السماوي على محمد ابن عبد الله (صلعم) وهو عربي ومن بيئة عربية .

– وثانيهما : نزول القرآن وهو « قاموس » الإسلام ودستوره بالضرورة – باللغة العربية –

من هنا كان الترابط محكما ومتينا بين الإسلام ، ولغة الإسلام « أي لغة الضاد » ، وكان على مسلمي الأرض قاطبة أن يلموا باللغة العربية ، ليستطيعوا بالتالي تادية فروض الإسلام والقيام بشمائره وترتيل القرآن .

وهكذا كان لابد للغة العربية أن تصل جيشا وصل الإسلام وجيشا حل المسلمون .

وكان لا بد كذلك من أن ينتشر الإسلام بشكل أشمل وأعم في البيئات العربية المنطق واللسان . – فالترابط في نظري – بين الإسلام واللغة العربية ترابط عضوي وأساسي لا يقلل من أهميته إطلاقا

اغناها بسحر آياته وامعجاز كلماته فاهتنت واهنت ،
وليس من المعجب في شيء أن نرى عددا كبيرا من
طلبة المعاهد والثانويات الانفارقة ينزعون الى تعلم
اللغة العربية والقانها بديلا للغات الاجنبية الاخرى .
ولكن للاسف يحول دون العدد الاكبر منهم وتحقيق
غايته نقص الوسائل وعدم توفر الامكانيات .

ان كثيرا من التعابير والآيات القرآنية تمازجت
مع اللغات المحلية واللهجات الاقليمية للمسلمين في
مشارك الارض ومقاربتها ، حتى غدت جزءا من هذه
اللغات واللهجات ، الشيء الذي يؤكد مجددا التلازم
والترابط بين الاسلام واللغة العربية ، هذه اللغة التي
ابت الدويان في غيرها من اللغات على مر المصهور
ورغم ما عانته من هزات وازمات، ذلك ان الاسلام

محنة القومية العربية

الاستاذ أحمد بصوي

(الموصل)

الى ان يقتله رجل اسمه فيروز ويلقب بأبي الوؤة
الفارسي الشعوبى .

وتحدثنا المصادر التاريخية : - ان اول مخطط
هدام للقضاء على القومية العربية قام بوضعه (عبد الله
ابن سباء) المعروف « بابن السوداء » وقد ولد هذا
اليهودي الحاقدي في مدينة صنعاء باليمن وتثقف
بالثقافة الفارسية واطهر اسلامه لينتقم من المسلمين
ويضل الناس وكان يصبغ مبادئه الهدامة بصيغة دينية
حتى يضل بها عامة الناس فكان يقول : - لقد عجبت
من يقول برجمة المسيح ولا يقول برجمة محمد ،
وبذلك وضع مذهب الرجمة اي رجمة محمد كما روج
بين المسلمين نظرية الحق الالهي التي اخذها من الفرس
الذين احتلوا قبل الاسلام بلاد اليمن موطنه الاصلي .

وقد هيا ابن سباء العقول الى الاعتقاد بان عثمان
ابن عفان المُنصب الخلافة واخذ يؤلب الناس عليه
ويدعوهم الى الثورة على خلافة عثمان بن عفان وبعت
دعائه لنشر هذه المبادئ الهدامة بين عامة الناس
وقد نجحت دعوة ابن السوداء في البصرة والكوفة وفي
مصر ولم تنجح في الشام

وحقق ابن سباء اليهودي الهدام ما كان يرمي
اليه من تاليب الولايات العربية على الخليفة عثمان بن
عفان وقد بلغت دمونه الغاية منها حيث انضم كثير
من اصحاب النفوذ والجاه اليه مما ادى الى قتل
الخليفة عثمان بن عفان بعد ان حاصره الثوار في داره
22 يوما ، فكان ذلك اول فصول هذه المأساة ومسا
اعتبها من نشوب الحروب الاهلية في البلاد العربية
واخذت الكوارث الدامية تحل بالامة العربية الواحدة
تلو الاخرى ، منها واقعة الجمل التي حدثت في
جوار البصرة بين انصار عثمان بن عفان وبين الخليفة

بدا الصراع الدموي بين القومية العربية وبين
الشعوبية بعد ان تحرر العراق العربي من نير الاستعمار
الفارسي في عهد خلافة الفاروق عمر بن الخطاب ،
وانضمام هذا القطر العربي الى الام الوطن العربي الكبير
وربط مصيره باشقائه الاقطار العربية الاخرى كسوريا
ومصر واليمن والحجاز والاقسام الاخرى من الوطن
العربي الكبير الامر الذي ادى الى تكالب الشعوبيين
وازدباد حقدهم على القومية العربية التي حملت
رسالة الاسلام الخالدة وانارت بمشعلها الوهاج وانوارها
الساطعة البشرية قاطبة .

والقومية العربية الخالدة التي حملت راية الاسلام
هي التي اوجدت مبدأ الضمان الاجتماعي الذي دعت
اليه تعاليم الاسلام في جوهره يكفل للفرد العيش في
سعة ويؤمن للسكان اجمعين ضمانا اجتماعيا قويا ضد
المادة والوفاة والعجز والشيخوخة ولم تمض حقبة
من الزمن حتى فتح العرب الممورة باجمعها واسسوا
في البلاد المتحررة انظمة مستمدة من تعليم الدين
الحنيف تكفل لجميع الشعوب على اختلاف الوانها
وعقائدها وقومياتها الحرية والمساواة وحرية التملك
وحرية المبادأة وحرية ابداء الراي . هذه هي المبادئ
السامية التي حملتها القومية العربية الخالدة للشعبية
اجمع ، الامر الذي ادى الى حقد الشعوبية واليهودية
وقد بدأ التآمر على القومية العربية منذ تولى الخلافة
الفاروق العظيم عمر بن الخطاب (رضي) وما كان
يظن ان تنتهي حياة ذلك العادل المحب لرعيته بضربة
خنجر ولكن ذلك حتى يعلم الناس حقد الشعوبيين على
القومية العربية ، فان عمر اذا كان قد ارضى العرب
بما صنعهم وارضى المعجم بما افاض عليهم من العدل
فقد اغضب كبراهم وذوي السلطان عليهم لانه نزل
مروث مجدهم وزلزل تصور عظمتهم الامر الذي ادى

الا انه لم يفرغ لها التفرغ الكامل فقصى - والدولة العباسية مهددة بالروال ، وتناول السيف خليفته المهدي ثم ابنه الهادي ثم اخوه الرشيد .

ولما وقع الشقاق والخلاف بين الاخوين الامين والمامون وجد الزنادقة والاحزاب الهدامة الاخرى متنفسا آخر فازداد نشاطهم . ومن أخطر الحركات التي انبثقت لهدم الاسلام والتضاه على القومية العربية وسحق تعاليم الدين كلها سعيا الى تحطيم السلطة السياسية التي تقوم على هذه التعاليم - تلك الحركة التي تزعمها رجل كان اذكي وأخطر من ابن سبأ ، وهذا الرجل هو المدعو « عبد الله بن ميمون القداح » وهو ابن فقيه ملحد من جنوب فارس ، وكان ميمون بن ديصان امام جماعة من الملحدين يزيفون الاحاديث وينشرون في العامة مبادئ الانتكار والهدم والاباحة ويظهرون في نفس الوقت تشيما لال البيت لاخفاء مقاصدهم الحقيقية ، وما كاد ابن جيمون ينظم جمعياته السرية الهائلة في جنوب فارس حتى بعث بدمائه الى جميع الاقطار العربية يبثون مبادئ التوقيض والهدم والتشهير بالمهدي المنتظر . وكان داهيته في العراق رجلا يسمى « الفرج بن عثمان القاشاني » ويمسرف « بذكرويه » وهو فارسي من مدينة قاشان ، وكان يبت الدعوة سرا ثم نهض في سنة 278 هجرية رجل من اتباعه داهية في الاستهواء والدس بمكان يعرف بالنهرين على مقربة من الكوفة يبت الدعوة جهرا فاستجاب له جمع كثير ولقب بـ (قرمط) وكان يدعو الى خروج المهدي المنتظر الذي يملأ الارض بعدله وكان يأخذ من كل واحد من اتباعه دينارا للامام وجعل عليهم النبي مشر تقيبا سماهم الحواريين ، ولما علم عامل الناحية بامر قبض عليه وجبسه ففر من سجنه واختفى حينما ازداد انصاره تعلقا به ، وقالوا انه رفع الى السماء ثم ظهر في ناحية اخرى من الكوفة وعكف على بث دعوته ثم فر الى الشام واختفى بمسد ذلك ولم يقف له أحد على خير ونشا هذا المذهب الهدام الجديد في انحاء الكوفة واطلق على انصاره (القرامطة) نسبة الى داهيتهم قرمط .

وهكذا قام حزب القرامطة على الشيوع والاباحة فقد بدأ قرمط يجمع من انصاره الضريبة العامة بنسب صغيرة وينسب كبيرة ، ثم افنى الملكية الفردية ثم قرر شيوع المرأة وغيره من صنوف الاباحة القائمة على استغلال اخس الشهوات البشرية وبذلك نظم مجتمعا شيوعيا وسرمان ما تحول القرامطة الى عصابة هائلة من السفاكين والاشقياء تقتل خصومها وتستحل اموالهم واهراضهم وتنتشر الدمار والرهب

علي بن ابي طالب قتل في هذه الواقعة (10) آلاف من شجعان العرب ، وليت الامر وقف عند الحد بل اخذت الحروب الاهلية بين العرب تتعاقب بفضل الشعبيين والخرق يتسع بين العرب الذين حملوا راية الاسلام فحدثت حرب صفين بين الخليفة علي بن ابي طالب وبين معاوية بن ابي سفيان المطالب بدم عثمان ، ولم تكن واقعة الجمل على شدة هولها ونظامه امرها الا مقدمة لما هو اشد منها هولاً هو الحرب في صفين . انتهت واقعة صفين التي قتل فيها من شجعان العرب وامجادهم تسعون الفا ، وهو عدد لم يذهب مثله ولا قريب منه في جميع الوقائع الاسلامية من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تاريخها . وما يزيد الاسف ان هذه الحرب لم يكن المراد منها الوصول الى تقرير مبدأ ديني او رفع حيف بالامة انما كانت لنصرة شخص على شخص وقد نتج عن حرب صفين احداث محزنة ومؤسفة حيث انها ادت الى البلبلة والانقسام في صفوف الامة العربية . فقد عاد الشاميون من هذه الحرب الاهلية الى دمشق وانصرف العراقيون الى العراق ولكن شتان بين رجوع اهل الشام وبين اهل العراق عاداهل الشام متفقي الكلمة ورجع اهل العراق وقد وقع الخلاف بينهم ودب الانقسام الى صفوفهم ولقد اقبلوا يتدافعون الطريق كله ويتشائمون ويتضاربون بالسيوط مما ادى الى قيام حرب جديد أطلق علي نفسه (الخوارج) ثم اصبحنا امام ثلاثة احزاب بعد ان كنا امام حزبين اثنين . اولا حزب الشيعة ، ثانيا حزب الامويين ، ثالثا حزب الخوارج ، واخذت هذه الاحزاب الثلاثة في التطاحن مما ادى الى اضعاف مقدرة القومية العربية ومناعتها لصد العدوان الداخلي الذي يقوم به الرتل الخامس فكان نفوذ فرق الزنادقة من مجوسية ومزدكية يمتد في فسبح البلاد الاسلامية للكيد ونشر الفوضى تحت شعارات وبراقع مختلفة الالوان حتى نمت الاحزاب الهدامة على حساب القومية العربية .

وكان الامويون قد جردوا السيف لهذا الخطر الداهم ولذلك تواترت الشكاوي على مثل والي العراق زياد بن ابيه وخلفه الحجاج بن يوسف الثقفي لان ولايتهما كانت في قلب الفتننة (الصراقي) ول مهيب ريعها فلما رالت الدولة الاموية بدسائس الشعوبية العاكرة ووجد الزنادقة والاحزاب الشعوبية الهدامة مجالا واسعا لبث سمومهم وهدم كيان القومية العربية احس الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور بالخطر فأعمل السيف في اربابها كابي مسلم الخراساني وحزبه،

كانوا يلقونه من غلمان الاتراك المرتزقة من اهانات وكبت للحريات ومصادرة للاموال والممتلكات ، ونتج عن ذلك ان غلمان الاتراك وجدوا انفسهم منفردين بالحكم والسلطان واصبحوا هم الامريين في الدولة العباسية ولم يقف الامر عند هذا الحد بل تعدى الى ان امتدت ايديهم على حياة الخلفاء واموالهم .

ف عندما استلم المتوكل الخلافة وحاول ان يكف ايدي غلمان الاتراك عن التدخل في شؤون الدولة وسياستها قتلوه وصار ابنه المنصور الذي اشترك معهم في قتله طوع بناتهم ، واصبحت الدولة العباسية ميدانا للفوضى والدسائس وفدا امر تولية الخليفة وعزله او حبسه او قتله في ايدي (غلمان الاتراك) .

ومن هنا بدأ ظهور طوائف الملوك في الوطن العربي المستقلة وشبه المستقلة في اطراف الدولة العباسية كدولة الصفارية والسامانية والغزنوية والعلوية في الشرق العربي والدولة الاغلبية بتونس والفاطمية ببلاد المغرب والطولونية والاشيدية بمصر وبنو امية بالاندلس ودولة الزيدية باليمن .

وبينما كان الشعب العراقي العربي ينظر الى هذه الكوارث والماسي التي حلت بالعراق على ايدي الشعوبيين بكل يقظة وحذر لكي يتخلص من هذه الطفحة المرتزقة اذا بسيل جارف آخر من الشعوبيين يتدفق صوب بغداد وهو عنصر جديد من بلاد الديلم يعرف باسم (آل بويه) فانزحوا الحكم والسلطان من غلمان الاتراك ببغداد وجعلوا العراق ملكا لاحدهم يتصرف فيه كما يشاء ، والخليفة الشرعي قابض في قصره بالامر بامرهم . وقد ارتكب البويهيون اكبر جريمة في حق الشعب العراقي اثناء سيطرتهم على مقدرات العراق بتشجيعهم الطائفية بين السكان .

وتحدثنا المصادر التاريخية ان معز الدولة البويهي الذي كان يسيطر على مقدرات العراق اصير امرا في بغداد في العاشرة من شهر محرم سنة 352 هـ يقضي بالزام الناس ان يفلقوا دكاكينهم ويبطلوا الاسواق والبيع والشراء وان يظهروا النياحة (الطبك) ويلبسوا قبايا مطوها بالمنوح (الاكفان) وان يخرج النساء ناشرات الشعور ومسودات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن في البلد ناشحات ويلطمن وجوههن على الحسن ابن علي ، فعلم الناس ولم يكن للخليفة العباسي قدرة على منع هذه البدعة السيئة التي لم يكن لها اي صلة بالدين ، وقد بدل البويهيون جهودا عظيمة لنشر روح الطائفية في جميع ارجاء هذا الوطن ، ولتوتوها بصينورة

فيما حولها ، وقد اجتاحت دعوة القرامطة انحساء البحرين والبصرة والاحساء وعمان والجزيرة ، وامتدت الى سوريا والحجاز ، وبينما كان القرامطة يسرون بانفسهم الى الفناء من جراء المعارك الطاحنة كانت دعوة عبد الله بن ميمون السرية تجتاح بلاد اليمن وتبشر بقرب ظهور المهدي فانتشرت الدعوة بين القبائل بسرعة وثاروا على من حولهم من القبائل بالسبي والنهب والقتل وارسلوا اموالا كثيرة الى ولد ابن القداح ثم انتقلت هذه الدعوة الى افريقية وانتشرت الدعوة في قبائل المغرب وفي مصر ثم ظهر حزب ثوري سري هدام وهو اخطر حزب عرفه الاسلام ، وهذا الحزب هو (الطائفة الاسماعيلية والباطنية) استمدت مبادئها من تعليم ميمون بن ديصان وولده عبد الله ومن القرامطة ولبثت هذه الطائفة مدة قرن ونصف قرن ازهت خلالها الدول الاسلامية من فارس الى الشام وحشدت جيوع البسطاء من العامة باسم الدين لتحقيق الغراض السياسية واعتمدت في محاربة خصومها على الاغتيال الخفي المنظم باكثر مما اعتمدت على الحرب العلنية ، وكانت القومية الفارسية تعتمد على الدعوة الثورية هدفست بشواتها المتعاقبة الى تحطيم نير الدولة العباسية واسترجاع حريتها .

ولما ولي المعتصم الخلافة وكانت امة تركية اهمل المنصر العربي والفارسي واعتمد على الاتراك الذين اتخذهم حرسا له واسند اليهم مناصب الدولة كما فعل اخوه المأمون مع الخراسانيين . وكان المعتصم اول خليفة عباسي اعنى باقتناء غلمان الاتراك فبعث الى سمرقند وفرغانة لشرايتهم وبدل فيهم الاموال الطائلة والبسهم انواع الديباج ومناطق الذهب وكان غلمان الاتراك يتدفقون سنة بعد سنة على اسواق بغداد حتى كثر عددهم ولم يلبث هؤلاء ان اصبحوا آفة على اهل بغداد الذين هانوا من عنتهم وجورهم شيئا كثيرا .

وتحدثنا المصادر التاريخية ان المعتصم كان قد اقصى العرب عن مناصب الدولة المدنية والعسكرية وعن ديوان العطاء واتاح بذلك الفرصة لغلمان الاتراك فزاد نفوذهم واصبحوا خطرا على الخلفاء العباسيين وعلى الدولة العباسية . وقد ادى ظهور المنصر التركي الى تزايد قوة هذا المنصر الدخيل على البلاد وضعف العرب وتفرقتهم الى قبائل وبطون مما ادى الى هجرة عدد كبير منهم من المدن والقضبات حيث فضلوا الاقامة والعيش في الارياف والصحاري بخلصا منا

البطائح الى الانفصال عن حكومة المغول في بغداد ،
 والى زعماء البطائح مشيخات وتحصنوا في قراهم
 المحاطة بالمياه وازداد نفوذ الشيوخ والزعماء الذين
 كانوا يسيطرون على البطائح ، وبمرور الزمان نشأت
 الاقطاعات في العراق واصبحت كل مشيخة مؤلفة من
 عدة قرى يسكنها أبناء عشيرة واحدة مستقلة عن
 المشيخات الاخرى ، واصبح شيخ القبيلة هو الحاكم
 بامرره يدير شؤون عشيرته وفق التقاليد والمبادئ
 الموروثة منقطعة عن العالم الخارجي يعيشون فيها على
 زراعة الارز والدخن بطريقة ابتدائية وتربية الماشية
 عراة حفاة تفتك بهم الاوبئة والامراض العفنة ويستولي
 الجهل على عقولهم محرومين من كل وسائل الحياة
 ويقوا على هذه الحالة السيئة الى ما بعد فتح الدولة
 العثمانية للعراق على يد السلطان سليمان القانوني
 في سنة 941 هجرية (1543 ميلادية) وكان حكم
 الولاة العثمانيين نافذا في المدن والقصبات ، اما
 القبائل التي كانت تقطن على ضفاف الانهر وفي البطائح
 من جنوب بغداد حتى الخليج العربي فانها كانت مع
 ولاة الدولة العثمانية في حروب وثورات دامية مستمرة .
 ولقد حاولت الجيوش العثمانية مرارا اخضاعهم
 بارسال الحملات العسكرية الواحدة تلو الاخرى زهاء
 ثلاثة قرون متواصلة لم تحقق الا بعض نصر موقت ،
 اذ ما كانت تعود الحملة العسكرية الى قواعدها بعد حملة
 تاديب عارمة حتى يثور سكان البطائح مرة اخرى
 ويعلمون عصيانهم ضد الدولة العثمانية هذا من جهة ،
 ومن جهة اخرى شرع ولاة بغداد يزعمون بين سكان
 البطائح روح التفرة والتباغض فكانوا ينعمون على
 بعض الشيوخ والزعماء منهم بالالاقاب (الباشوية)
 ويفرقون عليهم المعطاي من اراض واموال دون الاخرين
 لبث روح التنافس والحسد بينهم فيلجأون الى ضرب
 بعضهم بعضا .

وفي خلال هذه الحقبة الطويلة من تاريخ العراق
 ظل سكان البطائح منقطعين - او يكادون - عن العالم
 الخارجي محرومين من كل وسائل التمدن الحديثة
 صحية كانت ام ثقافية ام اجتماعية محتفظين في
 الوقت نفسه بسجاياهم العربية الخالصة كالكرم
 والشجاعة والذكاء الفطري وسرعة الخاطر وقوة
 الملاحظة والسليقة الشعرية والاخذ بالشار وحماية
 الخارجي محرومين من كل وسائل التمدن الحديثة
 مستمر مع الدولة العثمانية وتنكر دالم لها حتى
 انحسر ظلها عن العراق على اثر احتلال الجيش
 البريطاني للعراق اثناء الحرب العالمية الاولى التي
 نشبت سنة 1914 .

رسمية الامر الذي ادى الى انقسام الشعب العراقي
 العربي الى طوائف متنازعة متنافرة ، ولا تزال روح
 الطائفية البيضة تنخر جسم الشعب العراقي العربي
 المسلم الى يومنا هذا . وفي اوائل القرن الخامس
 الهجري ظهر عنصر جديد من الشعوبيين المرتقبة
 جاءوا من وسط آسيا متجهين صوب العراق وهم
 الفز من الانراك وعلى راسهم البيت السلجوقي زحفوا
 الى بغداد وامتلكوها وازالوا عنها آل بويه واصبح آل
 سلجوق هم السيطرين على مقدرات الدولة العباسية
 وانتشر الفز في طول البلاد وعرضها يدمرون القرى
 والقصبات ويصادرون اموال الناس داهم القتل
 والنهب وحرق القرى وسفك الدماء مما ادى الى خراب
 آلاف القرى في انحاء العراق ، واستمر الحال على هذا
 المنوال حتى خرج سيل المغول الجارف واجتاح
 الدولة العباسية وازالها من الوجود ، وقد كان احتلال
 المغول للعراق في القرنين الثالث والرابع عشر الميلادي
 وسقوط الخلافة العباسية في بغداد الضربة القاضية
 على العراق ، وفي هذه الحقبة التاريخية التي مرت على
 العراق والتي استمرت عدة قرون كان الشعب العراقي
 العربي يتلقى ضربات متوالية من الشعوبية المجرمة
 ولو ان اي شعب من شعوب العالم اصابه ما اصاب
 الشعب العراقي العربي المسلم الباسل المؤمن بربه
 الشعوبيون اثناء سيطرتهم على مقدرات العراق لزال
 من عالم الوجود واصبح في عداد الامم المندثرة ، ولكن
 الشعب العراقي العربي المسلم الباسل المؤمن بربه
 وقوميته صمد وقاوم مقاومة المستميت في سبيل
 صون كيانه وعرويته . وقد وجد له عربنا يحتمي فيه
 ليصد الضربات الموجهة ضده من هذه اللذاب
 المفترسة فاختر البطائح (الاهور) الواقعة في العراق
 قلاها يحتمي فيها ويتحصن بالمياه والسفن ضد
 السلطان البويهي وصارت تلك البطائح معاقل حنة
 والى زعماء العرب مشيخات يتولى ادارة كل مشيخة
 منها زعيم من العشيرة اثناء سيطرة آل بويه ثم مدة
 حكم آل سلجوق التركمانيين الراحفين من اواسط
 آسيا (بلاد ما وراء النهر) .

ولما استعاد العباسيون بعض نفوذهم في
 بغداد رجع سكان البطائح الى طاعة بني العباس
 واحترموا النظام واخذوا يؤدون الخراج الى عمال
 الخلفاء العباسيين كما كان الامر من قديم الزمان
 وازدادت الهجرة من المدن والقصبات الى البطائح
 مرة ثانية عندما اكتسحت جيوش المغول المدن
 العراقية تخلصا من القتل والنهب ، وعاد سكان

الإبتاع في العربية

الدكتور حسن نصر

(جامعة القاهرة)

وطبيعي ان يلقف تلاميذها عنهما هذه الامثلة، ويسموا وراء نظائرها ، ثم يمنحوها لتلاميذهم . فترد في كتب الإبتاع أسماء يونس بن حبيب والاصمعي وابي زيد وابي عبيدة والكسائي وقطرب وابي عمرو الشيباني والفراء والاحمر واليزيدي وابن الاعرابي ، وتشير المعاجم الى ما تعالج من امثله ، منذ العين للخليل . بل افرد ابن دريد في جملته فصلا للإبتاع (4) .

وبالرغم من ذلك ، اختلف العلماء في تصورهم للإبتاع نتيجة اختلافهم في الصفات التي اشترطوا توافرها في الالفاظ التي يمكن ادخالها فيه . ويحسن بنا - حين نرفب في تتبع هذه الشروط - ان نعالجها وفق التصنيف التالي :

1 - من حيث المعنى : ذهبنت جماعة من المتقدمين الى ان اللفظ التابع لا معنى له اصلا . واقدم من وصلت اليئامنه اقوال تذهب هذا المذهب ابن الاعرابي (231 هـ) . قال ثعلب في اماليه (5) : قال ابن

الإبتاع ظاهرة لغوية عامة لا تنفرد بها اللغة العربية ، بل تنبه من عرف غير العربية من القدماء الى وجودها في هذه اللغات ، فقال احمد بن فارس (1) : « وقد شاركت المعجم العرب في هذا الباب » . ونستطيع نحن ان ندرج تحت « المعجم » من نعرف لفته من الشعوب الاوربية مثل الانجليز والفرنسيين .

وفطن اللغويون منذ عهد مبكر الى ظاهرة الإبتاع . فأورد ابو عمرو بن الملاء رأس مدرسة البصرة امثلة منها . جاء في كتاب ابي الطيب اللغوي (2) : « قال ابو عمرو : سمعت اعرابيا يقول لآخر : انك لتحسب الارض هلي حيصا بيصا ، بكسر اوله .. وقال ابو عمرو : يقال : رجل طب لب . وهو العالم .. » وذكر ابو الطيب ايضا مثالا منه من رأس مدرسة الكوفة ، قال (3) : « حكى اللحياني من ابي جعفر الرؤاسي انه يقال للرجل : انه لمجنون مخنون .. »

(1) الصاحبى 226 . الثعالبي : فقه اللغة 566 . السيوطى : المرهر 1 : 414 .

(2) الإبتاع 14 ، 77 .

(3) الإبتاع 39 .

(4) 3 - 429 .

(5) السيوطى : المرهر 1 : 414 ، 416 . وانظر احمد بن فارس : الصاحبى 226 ، والإبتاع 28 .

مكان عمير بجير . فالعمير من العمارة ، فعيل بمعنى مفعول ، ويجير اتباع .. » .

ونجد امثلة اخرى للتابع فيها معنى معروف ، غير انه لا يستعمل بصيغته هذه وبمعناه هذا منفردا ، بل لا بد ان يجتمع مع اللفظ الذي يتبعه . ويمكن ان تقسم هذه الامثلة الى قسمين : (1) قسم يكون فيه التابع مرادفا للفظ المتبوع . قال (11) : « ويقال يوم مكيك اكيك ، ويوم مكك لك : اذا كان شديد الحر . والاكيك بمعنى الكيك ، الا انه لا يفرد . قال الراجز :

يوم مكيك يعصر الجلمودا
يترك حمران الرجال سودا
وليلة فامدة فمودا
سوداء تفشي النجم والفرقودا

.. وانه لكثير بشير .. والبشير من قولهم : ماء بشر : اي كثير . الا انه لا يقال : شيء بشير اي كثير الا على وجه الاتباع .. ويقال : مائق دائق ، من قولهم : رجل مدوق : اي محقق والدوق الحقيق ، وكذلك الموق . يقال : ماق الرجل بموق موقا . قال الراجز :

يا ايها الشيخ الكثير الموق
ام بمن وضح الطريق

ولا يتكلم بالدائق مفردا . ويقال : انه ليموق موانة ومؤوقا ، ودائق يدوق دواقة ودؤوقا ايضا . (ب) والقسم الثاني لا يرادف فيه التابع متبوعه بل يختلف معناهما ، غير انه لا يفرد ايضا بصيغته ومعناه المرادين في الاتباع . قال (12) : « ويقال : شحيح انيح : من قولهم : انح بحمله يانح انوحا : اذا تزحر به من ثقله ، ولا يفرد الانيح .. ويقال انه لشحيح بحيج ، وهو من البحة . ولكن لا يجول افراده .. تقول العرب : لا بارك الله فيه ولا تارله . ولا يقولونه الا هكذا . فهو - وان كان مأخوذا من الترك - فلا معنى له في هذا الوضع الا الاتباع »

الامرابي : « سالت العرب : اي شيء معنى شيطان ليطان ؟ فقالوا : شيء تند به كلامنا : نشده . وتابعه الحسن بن بشر الامدي (371 هـ) الذي اعلن (6) : التابع لا يفيد معنى اصلا ، ولهذا قال ابن دريد : سالت لها حاتم عن معنى قولهم : بسن ، فقال : لا ادري ما هو . وسار وراهما في هذا الطريق ابن الدهان (7) الذي راي ان التابع غير مبين معنى بنفسه من نفسه . ويكاد هذا القول يكون ما قاله فخر الدين الرازي ، وان صب كلامه على انكار الترادف بين التابع والمتبوع حين قال (8) : « ظن بعض الناس ان التابع من قبيل المترادف لشبهه به . والحق الفرق بينهما ، فان المترادفين يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت ، والتابع لا يفيد وحده شيئا ، بل شرط كونه مفيدا تقدم الاول عليه . »

وخالفت جماعة اخرى من ذكرتهم ، ولم يشترطوا عدم المعنى ، اذ رآوا ان التابع قد يكون له معنى وقد لا يكون . وينتمي الى هذه الجماعة ابو ملي القالي ، وابو الطيب اللغوي ، واحمد فارس ، وابن بري ، والتاج السبكي . قال الاخير برد على الامدي (9) : « التحقيق ان التابع يفيد التقوية ، فان العرب لا تضعه سدى . وجهل ابي حاتم بمعناه لا يضر بل مقتضى قوله : انه لا يدري ، معناه ان له معنى ، وهو لا يعرفه . »

وعندما نتبع امثلة الاتباع عند ابي الطيب اللغوي نخرج بصور مفصلة محددة . فاننا نجد عنده امثلة لا معنى للتابع فيها ويمتنعها اسم الاتباع لانها الاصل فيه . قال (10) : « قال قطرب : يقال : بسلا واسلا : اي حرام محرم . والبسل هاهنا الحرام ، والاسل اتباع . قال الشاعر :

ايثبت ما قلتتم ، ولفسى زيادتي
يدي - ان اسيفت هذه لكم - بسلا

اي بيعتي التي اعطيتكم يدي بها حرام عليكم ..
وانه لكثير بشير بدير بجير : كله اتباع .. ويقال :

(6) الزهر 1 : 15 ، 4 . (7) الزهر 1 : 424 . (8) الزهر 1 : 415 . (9) الزهر 1 : 416 .

(10) 20 ، 13 ، 5 . (11) 8 ، 13 ، 42 . (12) 7 ، 17 ، 28 .

ولا يعطينا كتاب احمد بن فارس مثل هذه الصورة الواضحة . ولعل سبب ذلك انه لم يفرد له للاتباع . بل جعله - كما يبين من عنوانه - « للاتباع والمزاوجة » . وقد يتبادر الى الذهن ان المؤلف يعدهما شيئا واحدا . ولكن ذلك غير صحيح . فهو يعلن في السطر الاول من كتابه (13) : « هذا كتاب الاتباع والمزاوجة ، وكلاهما ... » فيفرق بينهما ، كذلك يورد في داخل الكتاب من التعليقات ما يؤكد هذه التفرقة . قال (14) : « قال الاصمعي : رجل خياب تياب . قال : خياب : من خاب ، وتياب تزويج ، وهو يصلح ان يكون اباما » .

ولم يقتصر المؤلف على المزاوجة . بل اورد في كتابه امثلة قليلة مما سماه « الاسجاع » و« الامثال » . على الرغم انه اعلن في آخر الكتاب انه خصص لها كتابا . قال (15) : « وسترى ما جاء في كلامهم في الامثال ، وما اشبه الامثال من حكمهم على السجع ، في كتاب « امثلة الاسجاع » ، ان شاء الله تعالى » . وعلى الرغم انه يعترف ان الاسجاع ليست من صنف الكتاب ، قال (16) : « ومن الاسجاع . وليس من هذا الباب : قول بالغ الدابة : برئت اليك من الجماح والرصاح » .

واورد ما سماه تاليفا للكلام ، وتاكيدا ، دون ان يبين ماذا يقصد من ذلك ، وما صلته بالاتباع ، قال (17) : « وما يراد به تأليف الكلام قولهم : ارب فلان ، والرب ، فهو مرب وملب : اذا اقام » . وقال (18) : « لا افعله سجيس عجيس : يريدون الدهر . الاصمعي : لا آتيك سجيس عجيس : اي الدهر ، وسجيسه : آخره ، ومنه قيل للماء الكدر : سجيس ، لانه آخر ما يبقى . والعجيس تاكيد ، ونستنتج من بعضها الآخر ان التابع له معنى معروف ، ولا يهم ان يكون هذا المعنى مرادفا لمعنى التبع او مختلفا عنه . قال مثلا (22) : « الحياني : ما عنده على اصحابه تعريج ولا تعويج : اي اقامة وفلان لا يغير ولا يميز ، يقال للميرة الغيرة ايضا .. ويقال ذهب حبره وسبره . الحبر والسبر : الجمال والبهاء » . وقال (23) : تقول العرب : انه لسائب لاسب . فالسائب : الجائع . والاسب : الممي الكال ... ويقولون : خب صب . فالصب : البخيل المسك . والخب : من الخب ... وما عنده

(13) 28 . (14) 29 . (15) 70 . (16) 37 ، 43 . (17) 30 . (18) 49 .

(19) 60 . (20) 61 . (21) 35 ، 54 ، 68 . (22) 34 ، 42 . (23) 29 ، 52 .

فيض ولا فيض : اي كثير ولا قليل . ويقال :
الإعطاء والمنع .

2 - من حيث الصورة : اقدم من تناول هذا
الجانب صراحة ابو علي الثاني ، الذي فطن الى اتحاد
الحرف الاخير في التابع والمتبوع ، او ما سمي بعد
ذلك اتحاد الروي . قال من العرب (24) : «مذهبهم
في الاتباع ان تكون اواخر الكلم على لفظ واحد مثل
القوافي والسجع» .

ولكن ابا الطيب وابن فارس رويوا اتباعا لم يلتزم
الروي الواحد . قال ابو الطيب (25) : « يقال في
الدعاء على الرجل : جوها وجودا وجوسا . فالجود
هو الجوع بعينه . وقولهم جوسا اتباع » . وقد نبه
ابن فارس على هذه الظاهرة الشاذة عندما اورده ،
فقال (26) : «ومما لم يجيء على روي الاول جوها له
وجودا وجوسا» . ودفعه هذا الى مدم اشتراط
الروي الواحد ..

وفطن ابن فارس ايضا الى ان اكثر الاتباع
يتماثل التابع والمتبوع فيه في الوزن وان كان
ذلك ليس بالشرط الواجب . فقد اورد في الاتباع
(27) : « يقولون : وهو لك ابدا سمدنا سمرمدا .. »
واكثر ابو الطيب من امثلة الاتباع غير المتماثل الوزن .
مثل (28) : « يقال : لا دريت ولا البيت . مقصور
اوله ويقال : جوها ديقوما ، اذا دمي على
الانسان .. ويسب الرجل فيقال : رغما دغما
شغما . وفعلت ذلك على رغمه ودغمه وشغمه » .
ولذلك يحق لنا ان نقول ان تاج الدين السبكي اخطأ
حين قال (29) : « فالتابع من شرطه ان يكون على
زنة المتبوع » .

ويؤكد لنا هذا ان احسن تعريف ينظر الى
هذا الجانب للاتباع هو ما جاء به احمد بن فارس ،

واخذه منه الثعالبي حين قال (30) : « الاتباع : ان
تتبع الكلمة على وزنها او رويها اشباها وتوكيدا » .
فاذا كان اتحاد الروي غير لازم ، واتحاد الوزن غير
محتم ، فان الاتباع لا يخلو منهما معا .

3 - من حيث التعبير : اجمع الذين تعرضوا
للاتباع ان اللفظ التابع لا ينفصل عن المتبوع ، سواء
كان له معنى او لم يكن ، ولا يجيء في التعبير
منفردا مطلقا . واتخذ ابو الطيب من انفراد الكلمة
الثانية المقياس الذي اعتمد عليه في الفعل بين الاتباع
والتوكيد . فما لم ينفرد فيه اللفظان سماه اتباعا .
وما انفرد فيه اللفظ الثاني سماه توكيدا . ولكن ابن
فارس اقر في مرة واحدة وجود اتباع ينفرد .
قال (31) : « ويقال : خراب يباب . وقد ينفرد
اليباب . قال عمر بن ابي ربيعة :

كست الرياح جديدها من تربها

دقفا واصبحت المراض يبابا

فهذا اتباع الا انه افرده » . اما ابو الطيب فقد
تخلص من هذا المأزق بان جعل امثاله في
التوكيد (32) ..

واشترط الكسائي وابو عبيد وابن بري الا
يعطف الاتباع بإداة . قال ابو عبيد في غريب
الحديث (33) : « قال الكسائي .. واما حديث آدم
عليه السلام : انه استحرم حين قتل ابنه ، فمكث
مائة سنة لا يضحك . ثم قيل له : حياك الله وبياك .
قال وما بيباك ؟ قيل : اضحكك . فان بعض الناس
يقولون في بيباك : انه اتباع . وهو عندي - هلسى
ما جاء تفسيره في الحديث - انه ليس باتباع .
وذلك ان الاتباع لا يكاد يكون بالواو ؛ وهذا بالواو ..
ومن ذلك قول العباس في زمزم : هي لشارب حل

- (24) الامالي 2 : 217 . (25) 35 . (26) 54 . (27) 38 . (28) 10 ، 42 ، 58 .
(29) المزهري 1 : 416 . (30) الصاحبي 226 . فقه اللغة 566 . (31) 29 . (32) 111 .
(33) المزهري 1 : 415 .

وبل . فيقال : انه ايضا اتباع وليس هو عندي
كذلك لمكان الواو .

وجاء في لسان العرب تليقا على قولهم : جوما
ونوما (34) : « قال (ابن بري) : والصحيح ان هذا
ليس اتباعا لان الاتباع لا يكون بحرف العطف ،
والاخر ان له معنى في نفسه ينطق به مفردا غير
تابع . »

ولكن ابا الطيب اللغوي (35) رفض هذا الرأي،
ورد عليه ردا حسنا، معتمدا على مسلك العرب في
تعبيرهم . فقد رآهم يقولون : هذا جائع نالج ،
فدل على انه اتباع . ورآهم يقولون في النساء على
الانسان : جوما ونوما ، فادخلوا الواو . فلو اعتمدنا
عليه قلنا انه ليس اتباعا . ومحال ان تكون الكلمة
الواحدة مرة اتباعا ومرة غير اتباع . اذن ليس
الاعتبار بوجود الواو او عدمها .

ونستبين من دراسة امثلة الاتباع انه ليس من
المحتم ان يتألف من لفظين فقط ، بل قد يتألف من
ثلاثة ليقال (36) : انه لحسن بسن نسن . ولحمه
خطا بظا كظا : وانه لتبجج شقبيج لقيج . ويبدو انه
تألف احبانا من اكثر . قال ابو الطيب (37) : « يقال
في الكثرة : انه لكثير نشير بشير بدير عقير ، وعبير
ايضا . »

4 - من حيث الغرض : اول من تعرض للغرض
من الاتباع الكسائي ، واعلم انه يراد منه التوكيد
قال (38) : « انما سمي اتباعا لان الكلمة الثانية انما
هي تابعة للاولى على وجه التوكيد لها . ويؤكد لنا
صحة هذا القول الجواب الذي تلقاه ابن الاعرابي من
العرب حيث سألهم عن معنى شيطان ليطان . »

واتفق ابو علي القبالي (39) مع الكسائي . غير
انه يقصر التوكيد على نوع واحد من الاتباع ، ذلك
الذي يكون فيه اللفظ التابع بمعنى المتبوع .

ووافقهما ابن الدهان ، وجعل الاتباع من
قبيل التوكيد اللفظي ، واتى بالمثل التي تدغم
رأيه . قال السيوطي (40) : « قال ابن الدهان في
الغرة في باب التوكيد : منه قسم يسمى الاتباع نحو
عطشان نطشان ، وهو داخل في حكم التوكيد عند
الاكثر . والدليل على ذلك كونه توكيدا للاول غير
مبين معنى بنفسه من نفسه ، كاتبع وابصح مع اجمع
.. والذي عندي ان هذه الالفاظ تدخل في باب
التوكيد بالتكرار ، نحو رايت زيدا زيدا ، ورايت
رجلا رجلا . وانما غير منهما حرف واحد لما يجيئون
في اكثر كلامهم بالتكرار . »

واعلم السيوطي (41) وجود قوم يفرقون بين
الاتباع والتوكيد . واعتمادهم في هذه التفرقة على
امرئين : اولهما ان الفاظ الاتباع تختلف عن اتبع لانها
تجري على المعرفة والنكرة، على حين لا تجري اتبع
الا على المعرفة ، ولانها غير مفتقرة الى تأكيد قبلها
بخلاف اتبع . والثاني ان الاتباع ما لم يحسن فيه
واو العطف . والتأكيد تحسن فيه الواو .

ويتفق مع هؤلاء تاج الدين السبكي الذي قال
(42) : « الفرق بينه وبين التأكيد ان التأكيد يفيد مع
التقوية نفي احتمال المجاز . وايضا فالتابع من شرطه
ان يكون على زنة المتبوع والتأكيد لا يكون كذلك »

ونستطيع ان نضم اليهم ابا الطيب اللغوي لانه
جعل الواو التي ادخلها في كتابه صنفين : الصنف
الاول سماه الاتباع ، وهو ما لا ينفرد اللفظ فيه ابدا .
وسمى الثاني التوكيد ، وهو ما يمكن ان يستقل لفظه
الثاني بنفسه . وبرغم ذلك لم يكشف لنا ابو الطيب
الغرض من الاتباع . ولعله تعرض لذلك في الجزء
المفقود من مقدمته .

اما احمد بن فارس فرأى ان الاتباع لا يقصد
الى التأكيد وحده ، بل اليه والى ما سماه الاشباع

(34) مادة نوع . (35) 3 . (36) ابو الطيب 71 ، 72 ، 76 ، 77 ، 93 ، 96 ، 99 .

(37) 62 . (38) الزهر 1 : 415 . (39) الامالي 2 : 208 . (40) الزهر 1 : 424 .

(41) الزهر 1 : 424 - 25 . (42) الزهر 1 : 416 .

دون ان يحدده ، كما نستبين في قوله الذي اوردته سابقا .

ويؤدي بنا هذا الى ان العلماء لم يتفقوا على تصور واحد للاتباع ، وان بعضهم اعطاه صفات حرمة بعضهم الآخر اياها . وكانت الثمرة الطبيعية لهذا ان اختلفت الاقسام التي وضعوها له . واقدم ما بين يدي من اقسام ما اضطلع به ابو علي القالي : وكشف عنه في قوله (43) « الاتباع على ضربين :

فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الاول . فيؤتى به توكيدا ، لان لفظه مخالف للفظ الاول .

وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الاول » .

ويؤخذ على هذا التقسيم انه اهل ما لا معنى له من الاتباع ، وهو الاصل . وصورة التابع . وقد فطن احمد بن فارس الى هذا التفسير واراد ان يتجنبه . فجاء بتقسيمين لا واحد . نظر في الاول منهما الى صورة التابع ، وفي الثاني الى معناه . قال (44) : « هذا كتاب الاتباع والمزاوجة . وكلاهما على وجهين :

احدهما ان تكون كلمتان متواليتان على روي واحد .

والوجه الآخر ان يختلف الرويان .

ثم تكون بعد ذلك على وجهين :

احدهما : ان تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف . الا انها كالاتباع لما قبلها .

والآخر : ان تكون الكلمة الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق » .

ويمكن ان نأخذ على هذا التقسيم ايضا انه اهل الوزن .

واشمل تقسيم للاتباع هو الذي قام به الاستاذ عز الدين التنوخي ، وقال فيه : « ان الاتباع يكون في الاسماء وفي الافعال :

1 - الاتباع الاسمي قسمان :

أ- اما ان يكون التابع متصلا بالتبوع وبمعناه ، اوليس له معنى ، ثم لا يجيء مفردا .

(43) الامالي 2 : 208 .

(44) 28 .

وهو نوعان :

1 - نوع يجيء التابع فيه بلفظ واحد بعد التبوع ، فهو حسن بسن ، وحاد يار .

2 - نوع يجيء فيه لفظان بعد التبوع ، نحو حسن بسن قسن ، ويكثر ان تكون الكلمة التابعة مبدوءة بميم نحو صقر مقر ، وشذر مدر .

(ب) واما ان يكون التابع متصلا بالتبوع وله معنى ، ولا يجيء مفردا كما هو في القسم نحو عطشان نطشان .

2 (والاتباع الفعلي :

1 - والافعال في هذا القسم الثاني قد تكون ظاهرة ولفظ واحد نحو عيس ويسر .

2 - وقد تكون مقدرة كالمصادر التي قدرت افعالها نحو قبحا له وشقحا ..

وقد يجيء الاتباع الفعلي بلفظين تابعين نحو : لا بارك الله في الشعبي ولا تارك ولا دارك » .

والحق ان الاتباع ظاهرة لغوية ، واسعة النطاق متعددة الاشكال . كثيرة الاسباب والغايات . ويجب ان ننظر اليها في ضوء من اشكالها الاخرى لنحسن رؤيتها ، ونتم تصورها ..

فاللغة عرفت الوانا اخرى من الاتباع ربما لا ترد على خاطر في هذه الدراسة ولكن ذلك واجب ، لانها ذات صلة بما نتحدث عنه الآن .

فقد اجري العرب - وغير العرب - الوانا من الاتباع . فطن اليها اللغويون والنحويون والصرفيون ، ودرسوها ، ولكنهم لم يربطوا بينها وبين ما بين ايدينا الآن من اتباع . ونحن حين ننظر في هذه الالوان نستطيع للتيسير ان نصنفها في فئتين : الفئة الاولى جرت في المفردات اللغوية ، والثانية في المركبات .

اما المفردات فقد خضعت لتوهين من الاتباع : نوع جرى في حركاتها وآخر في حروفها . وكلا التوهين يضم المطرد من الاتباع وغير المطرد .

اما الاتباع المطرد في حركات المفردات فيتمثل في عدة ابواب نحوية وصرفية .

فالتقياس في جمع المؤنث السالم من الالفاظ الثلاثية الساكنة الوسط ان تتبع مينا فاهها . فما كان على فعلة جمع على فعلات مثل تمره وتمرهات ، وما كان على فعلة جمع على فعلات مثل حجره وحجراته ، او كان المتكلمون من بني هذيل او تميم . فلهم احكام اخرى .

والتقياس في الفعل الماضي عند بنائه للمفعول : ان كان مبدوءا بتاء زائدة ان يضم حرفه الثاني اتباعا لاوله مثل استخرج المعدن . والتقياس في فعل الامر الماخوذ فعل يفعل ان تضم همزة الوصل فيه اتباعا لضمة مینه . .

والتقياس عند بني تميم فيما كان على فعل الحلقى العين من الافعال كشهد ، والاسماء كفخذ ، والصفات كمحك ، وما كان على فعل الحلقى العين ايضا كسميد ورفيف ، التقياس عندهم فيهما اتباع الفاء للعين فيقولون شهد وفخذ ورفيف .

وقال عيسى بن عمر : ان كل (فعل) كان ، فمن العرب من يخففه ، ومنهم من يشقله نحو مسر ومسر ، ويسر ويسر (بالسكون والضم) .

وان كان عين (فعل) المفتوح الفاء حلقيا ساكنا جاز تحريكه بالفتح ، نحو الشعر والشعر والبحر والبحر ، (بالسكون والفتح) ، وعد ذلك اتباعا لفتحة الفاء .

واما الاتباع غير المطرد في حركات المفردات فأمثل له بقولهم : المغيرة ، ابعوا الميم للفسين ، ومنتن : ابعوا الميم للتاء ، وانبؤله : ابعوا الباء للهمزة ، ومنذ : ابعوا الميم للذال عند من قال : ان اصلها : من ذو ، وغيرها .

كل هذه الالوان من الاتباع : المطرد وغير المطرد ، انما ارتكبتها العربية لتيسر على المتكلم النطق . فبدلا ان تقوم اجهزة النطق بميلين مختلفين في موضعين متقاربين مما قد يتطلب من الناطق جهدا او وعيا ، كفته اللغة مؤونة ذلك بازالة الاختلاف وجعل الملمين متشابهين . واذن فالغرض من الاتباع في مثل هذه الاحوال تيسير النطق وجعله عفويا .

واقصد بالاتباع في حروف المفردات ما يجري فيها حين تخضع لاببدال او ادغام . فالتقياس المطرد في نون انفعال من الافعال المبدوءة بميم جواز قلب نونها ميمتا متابعة لميم الفعل ثم ادغام الميمين معا . فنقول امحى في انمحي . والتقياس المطرد في تاء افتعل من الافعال التي فاؤها دال او ذال او طاء او ظاء او ثاء او صاد او سين او زاي او ضاد جواز قلب التاء الى حرف مماثل للفاء اتباعا لها ثم ادغام الحرفين فنقول ادان واذكر واطلم . .

وانما تجري اللغة ذلك لتجعل للحرفين اللذين كانا مختلفين مخرجا واحدا ، فتيسر على الناطق ان ينطق بهما ، كما حدث في الالوان السابقة من اتباع الحركات .

كذلك تخضع المركبات لالوان مشابهة من الاتباع ، اطرد منها ما كان في الفعل المضمف حين يلتقي بساكن آخر . فقد كان الاتباع احد المسالك التي سار فيها العرب للتخلص من التقاء الساكنين . فقالوا : شد الحبل ، ومز ، وعض ، باتباع لام الفعل لفاؤه . كذلك لجأ بعضهم الى الاتباع للتخلص من التقاء الساكنين في ميم الجمع ، فقالوا : عليهم الذلة . كقراءة ابي عمرو ، وعليهم القتال كقراءة حمزة باتباع الميم لحركة ما قبلها .

ومن الالوان غير المطردة في التخلص من الساكنين القراءات الشاذة (قم الليل) و (قد استهزيه) و (قالت اخرج) باتباع الحرف الساكن الاول لحركة الحرف الذي بعد الساكن الثاني . .

ومن غير المطرد ايضا قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله) باتباع الميم للهاء بعدها .

والمقصود بهذه الاجراءات ما قصد بما جرى في المفردات : التخفيف القائم على تماثل العمل الذي تقوم به اجهزة النطق .

وتخضع المركبات لاتباع يجري في الحروف ايضا . اشهر امثلة ما جاء في الحديث النبوي : « ارجعن مازورات غير ماجورات » ، فغير موزورات (من الوزر) حولت الى مازورات اتباعا لماجورات .

ومثاله ايضا الحديث النبوي في هذاب القبر : « لا دريت ولا تليت ولا اهتديت » فابدل واو (تلوت) باه اتباعا ليائي الفعلين قبله وبعده .

واقرب الامثلة على ما يشابه هذه الظاهرة ما يكون في بابي الندبة والاستفهام . فالقاعدة في المندوب ان يفتح آخره ثم يشيع الصوت به حتى تتولد الف مثل قولهم : وازيداه ، فان لم يمكن ذلك خوف اللبس اشبهت الكسرة فتولد ياء مثل واغلاميكه؛ او الضمة فتولد واوا مثل واغلاميوه . فالمندوب يتلى بصوت مماثل لصوته النهائي دلالة على التفجع .

واذا رابك شيء في كلام فاستفهمت عنه منكرا له ، جئت بزيادة في آخر الكلام دلالة على ذلك . فان كان ما قبله مفتوحا ، كانت الزيادة الفا . وان كان مكسورا . كانت الزيادة ياء . وان كان مرفوعا ، كانت الزيادة واوا . وان كان ساكنا ، حركه لثلا يلتقي ساكنا . لان هذه الزيادات مدات ، والمدات ساكن فتحركه بالكسر كما يحرك الساكن اذا لقيه الالف واللام الساكن . فاذا قال الرجل : رايت زيدا . قلت : ازيدنيه . فان قال : رايت عثمان . قلت اعثماناه ؟ لثلا يلتقي ساكنا . ويقول : قدم زيد . فتقول : ازيدنيه . فان قال : رايت عثمان . قلت اعثماناه ؟ فان قال : اتاني ممر . قلت : امروه ؟ فهذه الزيادة المماثلة للصوت المختومة الكلمة به دليل على ما يمثل بنفسه من اتيار .

واذن فقد كانت الزيادة في باب الندبة دلالة على التفجع ، والزيادة هنا رمزا الى الانكار ، وكانت الزيادة في البابين مماثلة للحركة التي تنتهي بها الكلمة التي تلحق الزيادة بها . واذن فهذه الزيادة دلالة على الحالة النفسية التي يعيش فيها المتكلم حين نفوه بها ..

والنتيجة الطبيعية لهذا ان اللغة العربية تلجأ الى اتباع كلمة ما بصوت مماثل لنهايتها دلالة على ما يختلج في وجدان المتكلم من مشاعر . وعلى ضوء من هذا نقول انما الاتباع رمز على حالة شعورية خاصة تملك قائله : قد تكون اعجابا في مثل حسن بسن ، وقد تكون غضبا في الدعاء ... لا ينم .. فهما اختلف الشعور . فالاتباع رمز له ..

والاصوات التي اضافتها اللغة في امثال الندبة والاستفهام الانتكاري مبهمة ، لم تتخذ شكلا ، ولم تكتسب معنى ، بل بقيت على حالتها الاولى ، مجرد رمز مبهم . وقد وقف كثير من اصوات الاتباع عند هذه المرحلة ولم يتعداها الى مجال الوضوح . فآسر

ومثاله ايضا قولهم : انسى لآتبه بالفدايا وبالعشايا . فجمعوا العشية على العشايا متابعة للفدايا .

كذلك تنوين المتنوع من الصرف في قوله تعالى : (سلاسلوا واهللا) ، نونت سلاسل متابعة لاهللا .

ويمكن ان نجعل منه زيادة (ال) في (يزيد) في قول ابن ميادة :

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا
شديدا باحناء الخلافة كاهله
فربما فعل ذلك اتباعا للوليد .

اذا نظرنا الى هذه الانواع من الاتباع لم نجد المقصود منها التخفيف ، كما كان الحال في الانواع الاولى ، وانما المقصود المشاكلة الصوتية: اعني ان يكون لكل من اللغظين رنين مماثل : فيقع في الاذن عدبا ، وفي الوجدان حلوا . فالغاية هنا الجمال الصوتي ، الشبيه بما نجد في السجع ، والقافية والجناس .

ونخرج من هذا بان الاتباع في مجاله الاكبر يمنح الناطق خفة وسهولة ، وفي مجاله الاصغر يمنح السامع شعورا جماليا .

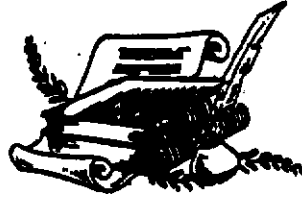
فاذا انتقلنا الى ما درسنا من الاتباع وجدناه يستفيد قليلا من المجال الاكبر ، وكثير من الجمال الصوتي .

ونحن حين نمعن النظر في اسلوب الاتباع نجده يشبه اساليب اخرى تعرفها اللغة . فهو في اصله صوت لغوي يتبعه صوت آخر مماثل له ، او ان شئنا الدقة التامة قلنا : صوت لغوي يتبعه صوت آخر مماثل له ، او ان شئنا الدقة التامة قلنا : صوت لغوي يتبعه صوت آخر مماثل لآخر الصوت الاول . فهما صوتان مماثلان في ختامهما ، وفي اكثر الاحيان في القسط الاكبر من بنيتهما . فاذا ما انفقا في حرف واحد ، وجدناهما يتفقان في حرف آخر غير انهما اختلفا في موضعه ، فجعله احدهما اولا والثاني وسطا ، مثل قببح شقيبح ، وسليبح مسيبح ..

ابضا من التماثل الصوتي بين التابع والمتبوع . لان
الستمع غير المتنبه يظن انه سمع اللفظ الواحد
مرتين . تحريرا وتوكيدا . .

وصفة القول ان الاتباع ظاهرة لغوية جميلة :
تدل على ما يعانيه المتكلم من انفعال . وتمنع السمع
متعة فنية . ويجب ان تدرس مع منيلاتها من الظواهر
اللغوية التي لا يقعد المتحدث فيها الى الاخبار الجرد .
ويرمي معه الى المشاركة الوجدانية . .

العلماء انه لا معنى له . وثاروا في بضمه اذ حاولوا
ان يلبصقوا له معنى ما . ولكن بعض هذه الاصوات
تمدى هذه المرحلة . واكتسب معنى مستقلا . وبعضها
الآخر اخذ من الفاظ معروفة المعنى . صلحت من حيث
اصواتها لان تكون اتباعا . ولا شك ان امثال هذا
النوع اكتسبت من الاتصال المعنوي بين التابع والمتبوع
توكيدا للفكرة التي تعبر عنها . ولا شك - عندي - ان
النوع الاول . المكون من تابع مبهم . اكتسب توكيدا



مُشكلات اللغة والمصطلحات

I
الدكتور يوسف الحزوري

رئيس قسم الجيولوجيا
(جامعة دمشق)

القرن الخامس عشر . اذ ركزت كليا وبقيت على هذا الحال الى ان حل النصف الثاني من هذا القرن العشرين . فعمت بوادر الاهتمام بالعلوم واحياؤها الشرق العربي بكامله وبشكل لم يعرف التاريخ له مثيلا منذ انطواء العصر الذهبي . وذلك اثر نشوب ثورة علمية جارفة اكتسحت البلدان العربية التي نالت استقلالها السياسي بعد معارك ضارية قدمت فيها عددا كبيرا من ابناءها على مذابح التضحية والشهادة . ودعمت استقلالها السياسي بنشر العلم والثقافة وخلقت المعاهد والجامعات واعادت للعلماء والباحثين اعتبارهم التقليدي باذلة لهم الجوائز ومشجعة اياهم على التأليف والاقتباس والترجمة . واصبح العلم من جديد جزءا رئيسيا من كيانها وحياتها .

ان هذه الثورة العلمية التي نحيهاها تضع امامنا مشكلات جديدة تتصل بكيفية تدريس هذه العلوم ونقلها للجيل الصاعد الذي يتلقف العلم على مقاعد التدريس في الجامعات الحديثة في جميع البلدان النامية التي نالت استقلالها مؤخرا ، وفي جامعات البلدان التي لا تزال تروخ تحت نير الاستعمار والاستغلال بجميع وجوهه واشكاله .

لقد هالج الدكتور بشير العظمة موضوع هذه المشكلات في مقاله اللغة العلوم الذي نشره في العدد

بشيت الواقع التاريخي : ان الامة العربية تاسي في طلعة الامم التي كانت تنشر العلم والمعرفة على البشرية جمعاء . وذلك عندما توطدت لها دعائم الملك فاستغلت امكاناتها ووجهت اهتمامها في باديء الامر لنقل العلوم الاغريقية والفارسية واليونانية والهندية والسريانية الى اللغة العربية ومن ثم خرجت على البشرية باحدث النظريات التي كانت تسبق المفاهيم العقلية السائدة في ذلك الوقت . والتي تتناسق اليوم مع احدث المعطيات العلمية المتغيرة سيقا علميا يطبع عصرنا هذا بطابع العلم والاختراع . ولنا في مؤلفات البيروني وابن الهيثم وابن سينا وغيرهم من علماء عصرهم اكبر دليل على رقي المفاهيم العلمية في ذلك العصر . الذي يعتبر بحق العصر الاسلامي الذهبي . والذي يمتد من القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن الخامس . ولقد انصف المستشرق الاميركي « ايريو بوب » البيروني حين قال : ان اية قائمة تحوي اسماء اكابر العلماء يجب ان يكون فيها لاسم البيروني مكانه الرفيع . ومن المستحيل ان يكتمل اي بحث في الرياضيات او الفلك او الجغرافيا او التاريخ او علم الانسان او علم المعادن دون الاقرار بمساهمة البيروني العظيمة في كل علم من تلك العلوم .

غير ان العلوم في الادوار التي تلتها كانت تتذبذب بين انحطاط او ارتخاء ونهضة او يقظة ، حتى نهاية

قدفها جبل النار فجمدت على جوانه واسفله ومننا
استمارها الإبطايون فقالوا Lava والفرنسيون
Lave

وكلمة المرقشيتا وهي ضرب من كبريت الحديد
فقد ذكرها ابن البيطار وكثيرون غيره من أرباب علم
المعادن وقالوا أنها البوريطس Pyrite blanche
أو حجر النار وقد اقتبس الفرنسيون منا المرقشيتا
فسموها Macossite ونحن اقتبسناها من الأراميين
فإنهم يسمونها (مرقشيتا) أو (كيفامقشيتا)
ومعناها الحجر الصلب أو الصلب . فحذف العرب
الكيفاء وأقحموا راء بين الميم والقاف تعريفاً عن
المحدوف فصارت كما نرى طلباً للخفة في اللفظ (١) .

إن أمثال هذه المصطلحات العلمية التي أخذها
عنا الغرب كثيرة . فالطلق والسفير وغيرها مستعملة
لدى الغربيين ويعنون بها الفاظ : Saphir Talc
وبراد بالأولى البودرة والثانية حجر كريم ، وكذلك
أخذوا عن اللازورد لفظة Azur للدلالة على لون
السماء إذ إن المراد باللازورد حجر كريم مشهور
بحسن لونه الأزرق السماوي .

على أن العرب من ناحيتهم لم يقصروا في
الاقتباس عن غيرهم في عهودهم السابقة ولا سيما في
عهد العباسيين . فقد دونوا كل ما وضعه العلماء
الإقدمون من يونان وفرنس ورومان والغوا في معظم
العلوم وجاءت تأليفهم من أحسن ما كتب والذي نأق
الجميع هو بلا شك أبو الريحان البيروني ، الذي يعد
من أعظم علماء الإسلام . فقد كتب معظم مؤلفاته
باللغة العربية وشارك في أغلب العلوم والفنون
والصنائع حتى قيل فيه « أنه في التاريخ مؤرخ
محقق مدقق ، واسع الإطلاع ، وفي الجيولوجيا ،
جيولوجي ممتاز بشهادة الجيولوجيين المعاصرين ،
وفي الفلك فلكي ممتاز بشهادة الفلكيين المعاصرين ،
وفي الرياضيات رياضي ممتاز بشهادة أساتذة
الرياضيات المعاصرين » ، والكلمات العربية كثيرة في
لغتنا العربية تستعمل بطلاقة وتشمل جميع الفروع
من آداب وعلوم ، فالياقوت مثلا كلمة معربة من
اليونانية وهي Hyacinthos والمغنطيس معربة
من اليونانية أيضا Magnes والرطل هو تعريب
لعبرا Litra الرومية المأخوذة من مثلها في
اليونانية وقد دخلها القلب في العربية ، وقد أجاد

(47) من مجلة « المعرفة » الصادر في دمشق بشهر كانون
الثاني 1966 . فأتى على جميع إبعاده القومية والفنية .
مثبتا أن موضوع استعمال أداة التفاهم الوطنية في
المجال العلمي بديهية لا تبلغ درجة الشك وخلص إلى
ضرورة توحيد لغتنا العلمية من أجل مصلحة المروبة
ومصلحة الإنسانية جمعاء . ثم تلاه عدد من الجامعيين
من أطباء وعلميين فقاموا بمعالجة هذا الموضوع
الخطير . وقد أيد معظمهم الدكتور العظيمة من النواحي
القومية والوطنية وعالجوا بعدها المشكلات التي تترس
أيجاد المصطلحات العلمية في بداية الأمر بشكل يقبل
به جميع الباحثين في الأقطار العربية ، معتمدين على
تجاربهم الشخصية في الجامعات العربية التي درسوا
فيها ومبينين أن ما ينسب للمصطلحات الممول بها
حاليا من أخطاء يعود إلى نقص في التنظيم لا إلى فشل
بالتعليم باللغة العربية نفسها التي تعتبر بحق من
أقدر اللغات على الإداء والتعبير والنحت والتعريف .

ولقد عنيت في هذا المقال أن أدلي بدلوي في هذا
المجال الواسع الإرجاء . مستعينا بالتجارب التي مرت
علي منذ تأسيس قسم الجيولوجيا في الجامعة
السورية بدمشق ، كنت أدرس هذه المادة باللغة
الفرنسية في البداية ثم انتقلت بعدها إلى تدريسها
وبجميع تفرعاتها باللغة العربية القومية مستعينا
بالمصطلحات العربية والمنحوتة . فقد وجدت تجاوبا
كبيرا من قبل الطلاب في تدريس هذه المادة باللغة
العربية وتفهما لم أعده من قبل حين كنت أعطيها
باللغة الفرنسية . وكان يعطيها زميل لي باللغة
الانكليزية . وقد وقفت بنفسي خلال تجربتي هذه على
غنى المصطلحات العربية الواسع في التعبير عن
المواضيع الجيولوجية التي سبق للإقدمين أن عالجوها
باللغة العربية البديعة ، إذ أنهم كانوا ولا شك واقفين
على أسرارها . واعتقد جازما أن مصطلحات إنشاء
الإلسنة الأخرى الحية والمعروفة في عصرنا لا تجاريها ،
وقد أخذوا بقسم كبير منها . ولنا في الأمثلة التالية
خير دليل على صحة ما ذكرت : فاللابة ونريد بها
المهل المنصهرة هي عربية أخذها عنا الغربيون
فاستعملوا كلمة Lava يقول الأب انتناس ماري
الكروملي البغدادي في تعليقه لكتاب : نخب الدخائر في
أحوال الجواهر تأليف السنجاري المعروف بابن
الاكفاني : « عندي أن أصل اللابة للحر « اللابة » لفة
في « الدابة » لأنها كانت في الأصل جواهر ذائبة

(1) كتاب الدخائر في أحوال الجواهر .

عمله في رأي خطوة جريئة شاملة في سبيل تعريب
المصطلحات العلمية في كل قطر عربي ، إذ أنه
تقدم باقتراحات موضوعية في هذا المجال كان تنشأ
في كل قطر عربي شعبية وطنية تكون صلة وصل بينها
وبين المكتب الدائم للتعريب تشمل اختصاصاته
توحيد المصطلحات في جميع الأقطار العربية وجعلها
الزامية .

ولابد لي في النهاية من التنويه بضرورة اتقان
لغة أجنبية حية إلى جانب اللغة العربية ، ولا سيما في
المرحلة الانتقالية التي نجتازها ، والتي يتوقف عليها
مستقبل الأمة العربية جمعاء ، فمكتبتنا العربية ما
زالت مفتقرة إلى كثير من الكتب العلمية باللغة العربية
وإن اقتصار الطلبة على هذا النذر اليسير من الكتب
العلمية العربية لا يكفي لإرواء عطشهم إلى الاستزادة
من هذه العلوم بغية اللحاق بركب الحضارة العلمي
الذي هو هدفنا بالدرجة الأولى ، وإن اتقان لغة
أجنبية يساعد كثيرا على وضع المصطلحات بأحسن
صيغة فنكون بذلك قد افدنا أنفسنا واهنينا مكتباتنا
وجامعاتنا بالمصطلحات العلمية التي نحن بأشد الحاجة
اليها .

ولابد لي من توجيه كلمة شكر وامتنان للقائمين
على مجلة المعرفة التي سقت وفتحت هذا الباب
للمناقشة . خدمة للعلم والعلماء في وطننا بوجه
خاص وللإنسانية والمعرفة بوجه عام . مؤملا عدم
الاكتفاء بما نشر في هذا الموضوع . ومتابعة
المؤسسات المختصة هذا الموضوع للوصول إلى مقررات
توضع موضع التنفيذ وتخدم لغتنا العربية الغالية
علينا وجامعاتنا وثقافتنا ، الخدمة التي نتوق اليها
ونتمناها .

(يتبع)

العرب أيضا في النحت فنحنوا كلمة الماذنبي وهو
نوع من الياقوت يقول النيفاشي في أصلها : « سالت
بعض مشايخ الجوهريين في سبب تسمية هذا النوع
بهذا الاسم فقال : إن هذا الحجر شديد الشبه بجيد
الياقوت ، فإذا قوم بدون قيمة الياقوت ، كأنه يقول
بلسان حال جودته : « ماذنبي » حتى أقوم بدون
قيمة الياقوت » فالكلمة كما نرى إذن منحوتة من ما
الاستفهامية وذنب مضافة إلى المتكلم (2) . والكلمة
هي ضرب من البنفسج الذي يدموه الغرب Hyacinthe

وفي رأيي أنه يمكن لنا وقد زادت الاصطلاحات
الفنية في يومنا هذا زيادة تناسب مع متطلبات
العلوم الحديثة والاختراعات التي أصبحت لا تقع تحت
حصر ، إن تأخذ من هذه المصطلحات بالتعريب
والنحت كما أخذ منها علماءنا في السابق . ونمارس
التدريس بلغتنا القومية في جميع المجالات العلمية
حتى نجاري الأمم التي سبقتنا في هذا المضمار ،
مبينين بذلك أن لغة الضاد هي لغة سخية سمحة
تجاري العلوم والمخترعات ، فهي لغة علوم بالدرجة
الأولى كما أنها لغة آداب وفلسفة وفنون ، فيمكننا
إذا ما اتفقنا على وضع بعض الأسس في تعريب
المصطلحات أن نصل إلى الغاية المنشودة .

لقد سبق لكل من الاتحاد العلمي العربي في
مؤتمره الثالث ومؤتمر التعريب في المملكة المغربية (3)
أن رفعا بعض التوصيات المتعلقة بالخطة العلمية
المثلى في تحقيق التعريب بوجه عام وفي تعريب
المصطلحات العلمية بوجه خاص . وقد أخذت
الجامعة العربية ببعض هذه التوصيات . إذ أنها انشأت
المكتب الدائم للتعريب في المملكة المغربية ويعتبر

(2) كتاب الدخائر في أحوال الجواهر .

(3) راجع العدد الرابع من «اللسان العربي» .

حرف الجيم بين الشمس والقمر

الأستاذ محبوب الحلبي
جامعة دهام - بريطانيا

لقد سببت هذه التغيرات في اللفظ مشاكل شتى في اللغة العربية اخص منها مسألة الجيم كحرف من الحروف القمرية ، اذ كثيرا ما يجنح البعض من ابناء البلاد العربية وخصوصا في العراق وسوريا الى لفظ الجيم كصوت شمسي اي بادغام لام المعرفة في الجيم عند وقوعها في اول الكلمة فيقولون اجمل بدلا من الجمل . ولا تقتصر هذه المشكلة على الصعوبات التي يلاقيها مدرسو اللغة العربية في تلك الاقطار بل تمتداه الى احوال يرتكب فيها بعض الخطباء والمذيعين هذه الاخطاء فيتعرضون بذلك الى الكثير من النقد واللوم. على ان هذا الميل للفظ الجيم كصوت شمسي لا يعدو ان يكون ميلا طبيعيا تتطلبه السهولة في اللفظ والجمال في النطق ، وهذا يدفعنا لكي نضع استفهاما كبيرا عن سبب ابقاء الجيم بين الحروف القمرية دون الاخذ بالامتيازات الاخرى التي تحيط بهذه المسألة .

يشغل حرف الجيم مكانا فريدا بين الحروف الاخرى بتنوع طرق لفظه في اللهجات العربية الى درجة لا يكاد يضاهيه فيها اي حرف آخر ، فهو في الشام رخو قريب الى الشين لما فيه من تعطيش بالغ وهو في العراق اكثر شدة (1) ، فيه الرضئيل من التعطيش اما في القاهرة فانه يلفظ شديدا مجهورا (2) على فرار ما يسميه البعض بالجيم القاهرية ، بينما نجده قد صار دالا في بعض مناطق الصعيد المصري وباء عند بعض قبائل الكويت ، وجنوب العراق .

ومما يجدر ملاحظته ان هذه الظاهرة تشتمل الحرفين **J** و **G** في اللغات الاوربية وهما نظيرا للجيم في العربية. اذ ان ال **J** يلفظ ياء في الالمانية وخاء في الاسبانية ، وهو في الانجليزية كالجيم العراقية وفي الفرنسية كالجيم الشامية . كما ان ال **G** يلفظ احيانا في الانكليزية والفرنسية كالجيم القاهرية بينما يتخذ في احيان اخرى اشكالا كالتى اسلفنا ذكرها .

(1) الصوت الشديد هو الصوت الانفجاري الذي يحدث بانحباس الهواء عند مخرج الصوت انحباسا تاما ثم انطلاقه فجأة عند انفتاح المخرج كالبناء والتناء ، وعكسه الصوت الرخو.

(2) الصوت المجهور هو الصوت الذي يستوجب عنده اهتزاز الوترين الصوتيين اثناء مرور الهواء بهما كالدال والظين ، وعكسه الصوت المهموس .

يقول سيبويه « ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفا لا يجوز معهن الا الادغام لكثرة لام المعرفة في الكلام وكثرة موافقتها لهذه الحروف واللام من طرف اللسان وهذه الحروف احد عشر حرفا منها حروف طرف اللسان وحرفان يخالطان طرف اللسان . . . والاحد عشر حرفا النون والراء والدال والثاء والصاد والطاء والزاي والسين والظاء والثاء والدال والذال خالطها الضاد والشين » (3) . وبغض النظر عن السبب الذي جعل سيبويه لا يذكر اللام نفسها بين هذه الحروف الا ان الحروف الباقية وهي التي اصطلح على تسميتها بالحروف القمرية لا تدغم فيها لام المعرفة وبجمعها قولك ابغ حجك وخف عقيمه .

واود في معرض هذا الحديث ان يؤكد الفرق بين حالتي الحرف المشار اليه هنا ، الاولى كرمز مكتوب تحفظه الكتب من التغيير عبر المصور والثانية كلفظ مسموع لم يكن هناك من وسيلة لحفظه قبل ظهور اجهزة تسجيل الصوت الحديثة . فالخلط بين الرمز واللفظ امر يجب تجنب الوقوع فيه في حكمنا على الجيم وغيرها في وقتنا الحاضر ، اذ على الرغم من ورود الجيم كحرف قمرى منذ بدء اهتمام العرب بعلم الاصوات الا اننا لا نزال غير متأكدين من الطريقة التي كان يلفظ بها هذا الحرف عند قدماء العرب ، فقد جاء عن الخليل بن احمد الفراهيدي في كتاب العين ان الجيم والشين والضاد شجرية لان مبادها من شجر الفم أي مفرج الفم (4) ، اما سيبويه فقد كان اكثر تفصيلا اذ يخبرنا ان من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء ، كما انه وصف الجيم بأنها من الحروف الشديدة المجهورة ، فهذه الاوصاف رغم اعطائها فكرة جيدة عن طريقة لفظ هذا الحرف في ايام الخليل وسيبويه الا انها غير كافية لتدلنا على اللفظ بعداثيره .

وقد كانت هناك اكثر من محاولة من قبل المهتمين بعلم الاصوات في وقتنا الحاضر لاستنتاج الطريقة التي كان ينطق بها هذا الحرف عند قدماء العرب فنجد الدكتور ابراهيم انيس يقول « ويظهر

ان الجيم التي نسميها الآن من مجيدي القراءة هي اقرب الجميع الى الجيم الاصلية، ان لم تكن هي نفسها » (5) . واغلب الظن ان المقصود هنا بالجيم الاصلية هي تلك التي كان ينطق بها ايام الخليل وسيبويه اذ ان من الصعب افتراض جيم اصلية لم يسبقها تطور في اية مرحلة من مراحل التاريخ . ومهما يكن من امر فان الارجح ان الدكتور ابراهيم انيس كان متفائلا في استنتاجه واننا في الواقع لا نزال بعيدين عن التوصل الى صورة اكدية للطريقة التي كان ينطق بها حرف الجيم التي وصفها سيبويه قريبة من التي نسميها الآن من مجيدي القراءة القروانية لوصفها ، كما وصف العين ، بأنها بين الشدة والرخاوة ولما ابقاها بين الحروف الشديدة ، بل ان الجيم وردت كنموذج للحروف الشديدة في الامثلة التي جاءت في المفصل للزمخشري اشرح ابن يعيش . وحتى في القرن التاسع الهجري نجد ان ابن الجزري يعتبر الجيم من بين حروف الثقللة (6) وهي الحروف الشديدة المجهورة . وانا لا استبعد ان يكون تطور الجيم نحو شيء من الرخاوة نوعا من الحرص للابقاء على جهرها وهي بهذا تختلف عما هو اكثر شيوعا وهو الابقاء على الشدة والتطور من الجهر نحو الهمس .

وهناك دلائل تشير الى ان وضع الجيم لم يكن على درجة كبيرة من الاستقرار منذ تلك الايام وان هناك ميلا للانحراف بمخرج الجيم الى مخارج قريبة فسيبويه يكشف ذلك بقوله « . . . وتكون اثنين واربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته ولا تستحسن في قراءة القراءان ولا في الشعر وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالثين والضاد الضعيفة . . . » (7) كما نجد ان ابن الجزري بعد ذلك بعدة قرون ينصح بالتحفظ باخراج الجيم من مخرجها « فربما خرجت من دون مخرجها فينتشر بها اللسان فتصير مزوجة بالثين كما يفعل كثير من اهل الشام ومصر وربما نبا بها اللسان فاخرجها مزوجة بالكاف كما يفعله بعض الناس وهذا

(3) الكتاب، الجزء الثاني صفحة 416

(4) العين صفحة 2

(5) الاصوات اللغوية صفحة 65

(6) «النشر في القراءات المشر» الجزء الاول صفحة 203

(7) لكتاب الجزء الثاني صفحة 404

موجود كثيرا في بوادي اليمن « (8) . على ان ابن الجزري لم يكن بنفسه واتقا من مخرج الجيم الحقيقي حيث يقول «للجيم والشين المعجمة والياء غير المدية من وسط اللسان بينه وبين الحنك ويقال ان الجيم قبلهما وقال المهدي ان الشين تلي الكاف والجيم والياء يلبان الشين وهذه هي الحروف الشجرية» (9) . وعلى كل حال فان ابن الجزري يختلف هنا عن بعض اسلافه من امثال ابي علي القالي المولود في اواخر القرن الثالث الهجري والذي اعتبر ان مخرج الجيم يلي مخرج الصاد .

ان ما سبق يشير الى ان ثمة تطورا ما قد صاحب نطق الجيم طوال هذه المدة وان الجيم التي وصلتنا تختلف بكل اشكالها العالية عن نظيرتها لدى الخليل فلا عجب ان نجد الدكتور مهدي الخزومي يخبرنا في كتابه عن الخليل بان المحدثين يخالفون الخليل وسيبويه بالنسبة لمخارج الحروف الشجرية اذ هم يعدون مخرج الياء والجيم من بين مقدم اللسان وسقف الحنك الصلب والشين من بين اسلة اللسان او ما يليها وبين حافة الاسنان . وانا استبعد جدا ان يكون اختلاف الخليل وسيبويه من جيلنا سببا من خطأ منهما وما هذا الاختلاف الا نتيجة حتمية لتطور الجيم ودليلا كافيا على اننا ما زلنا بعيدين عن جيم القرن الثاني الهجري .

وها نحن اليوم ننطق بجيم عراقية (وهي قريبة جدا لما نسمعه من مجيدي القراءة القرآنية) واخرى قاهرية وثالثة شامية ورابعة تنطق بـاء الخ . . اندرت اليانا كلها بهذه التشعبات بفعل عوامل معينة لا تبعد ان تكون هي نفسها التي سببت تشعب نظيرات الجيم في اللغات الاوربية . الا ان المهم في هذا البحث هو موضوع ادغام لام التعريف في الجيمين اللتين اسميتهما بالشامية والعراقية نظرا لان الملايين من الناطقين بالعربية يستعملونهما كل يوم . وعندهم تكون الجيم شمسية اذا تكلموا بصورة عادية وتكون قمرية اذا تكلموا اللفظ واصطنعوا الفصاحة نزولا عند قانون سن منذ التي عشر قرنا خلت فتغيرت الجيم وبقي القانون .

وادغام لام التعريف في الحروف الشمسية يتم بالدرجة الاولى نتيجة الاقتعاد في الجهد العضلي . وهو امر مسلم به منذ القدم كما يصر عنه سيبويه بقوله « ليكون عمل اللسان من وجه واحد » . فالحروف الشمسية كلها اصوات ذات مخارج لسانية قريبة من مخرج اللام وهذا يسبب تانسر العسوتين بالمجاورة وبالتالي ادغام لام التعريف وفناءها في الحرف الشمسي الذي يليها . بينما لو استعرضنا الحروف القمرية لوجدنا ان اللسان لا يستعمل الا في نطق ثلاثة منها وهذه بعيدة عن مخرج اللام على أي حال ، اما الجيمان الشامية والعراقية فلنبرهنه على انهما يشتميان الى مجموعة الاصوات الشمسية اليك اختبارا بسيطا :

ضع لسانك في الموضع الطبيعي للفظ صوت اللام وابق لسانك في هذا الموضع ولكن بدلا من لفظ اللام لفظ عبارة ابغ حجك وخف عقبيه . وهي العبارة التي تجمع الحروف القمرية كما اسلفنا . ستجد انك تستطيع لفظ العبارة كلها بوضوح فيما هذا الجيم اذا كانت شامية او عراقية .

ان هذا الاختبار على بساطته يربنا كيف ان عمل اللسان في لفظ اللام يكون « من وجه واحد » مع الجيمين وبذلك كان ادغام لام التعريف بهما مناسباً . وبصورة عامة فان هذا الاختبار يعطينا طريقة مباشرة لتقدير اهلية الصوت اللغوي لادغام لام التعريف به اي للحكم على كون الصوت شمسيا او قمريا .

وبناء على كل ما تقدم فانني لا اري اي مسرر للاصرار على ابقاء الجيمين الشامية والعراقية في ضمن الاصوات القمرية وقد حان الوقت لكافة الذين تصادفهم هذه المشكلة ان يتقبلوا الامر على اساس من المنطق . اما الذين يستشهدون بسيبويه فاكرد لهم انه انما كان يتحدث عن رمز معين لا دليل لنا اليوم كيف كان يلفظ ، واني عنى يقين انه لو كان سيبويه اليوم حيا بيننا لوضع الجيمين الشامية والعراقية مع اللواتي « لا يجوز معهن الا الادغام » .

(8) « النشر في القراءات العشر » الجزء الاول صفحة 217 .

(9) المصدر السابق ص 200 .

أثر اللسان العربي في اللغة الإسبانية

الأستاذ سامي الحفار الحزبري (دمشق)

الأستاذ سامي الحفار الحزبري
(دمشق)

واطلق عليهم اسم : « المدجنون » Mudéjares وتولد عن بقائهم فن جديد في الهندسة والصناعة اليدوية سمي : المدجن Mudéjar لذا لا نستطيع ان نقول بان الاثر العربي في اسبانيا قد زال بزوال سلطانهم عليها .

وقبل ان نتحدث عن اثر الموريسكوس والمدجنين في اللغة الاسبانية في مختلف بقاع الاندلس لابد لنا من التحدث عن طبقة « المستعربين » Mozárabes وهم ابناء البلاد الذين تأثروا بالثقافة العربية والحضارة الاسلامية ابان الحكم العربي في اسبانيا . لقد حافظ هؤلاء على معتقداتهم الدينية غير انهم تعلموا العربية وبنوها في حياتهم وكانوا يتكلمون كذلك لغة بلادهم الاصلية المشتقة من اللاتينية والتي كانت تعرف باسم الرومانسية وهي نواة اللغة الاسبانية . فالحكم العربي في الاندلس توطدت دعائمه اثر حكم الفيزقوطيين Romane ، وهي نواة اللغة الاسبانية . فالحكم العربي في الاندلس توطدت دعائمه اثر حكم الفيزقوطيين Visigodos وهم قوم من الجرمان احتلوا اسبانيا في القرن الخامس الميلادي قادمين من ايطاليا وفرنسا وبنوا لغة الرومان الدارجة فيها وادخلوا في تلك اللغة اللاتينية الشعبية بعض تعابيرهم واسمائهم ومفرداتهم ، ولكن حصيلة ما قدموه لتغذية اللغة الاسبانية لا تقارن بما قدمه العرب اليها من

لا ريب في ان اثر اللسان العربي في اللغة الاسبانية من اهم آثارنا في اسبانيا واكثرها خلودا ، كما انه دليل قاطع على ان الحضارة العربية الاسلامية وجدت في الاندلس الارض الخصبة لازدهار اغراسها . فاذا تجلت تلك الحضارة في العلوم والفنون والآداب ، في الهندسة والتجارة والزراعة والصناعة ، ومنحنتنا تراثا عربيا اندلسيا افادت منه الانسانية ، فلقد كان اللسان العربي خيرا اداة للتعبير عن تلك الحضارة خلال تسعة قرون تقريبا . فالعرب عاشوا في الاندلس ثمانية قرون الا قليلا ابان حكمهم لها ، منذ دخول طارق بن زياد الى شبه الجزيرة اليبيرية سنة 711 م حتى خروج آخر ملوك بني الاحمر من غرناطة سنة 1492 م ؛ ولكن من الثابت ان الاثر العربي في بعض مناطقها قد استمر حتى مطلع القرن السابع عشر ؛ وذلك لان نصف مليون عربي اختاروا البقاء في اسبانيا بعد ان استرجعها ملوكها لشدة تعلقهم بها وبارضها جبلا بعد جبل . وقد عرف هؤلاء باسم موريسكوس Moriscos وظلوا يتكلمون العربية ويكتبونها حتى تم اندماج بعضهم بالاسبان نهائيا لغة ودينا ؛ في حين هاجر البعض الاخر الى الشمال الافريقي . فالموريسكوس هم العرب الذين تنصروا بعد ان استرجع ملوك الاسبان بلادهم من المسلمين العرب ، اما الذين لم يتنصروا وآثروا البقاء في الاندلس فلقد اضطروا للموافقة على التسمية للملوك الكاثوليك